صراحة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1748) السنة السابعة

الخميس (18) شباط 2010

في ذكرى البرزاني الخالد

أبي

بقلم مسعود البارزاني

2

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

أبي

مسعود البارزاني

شاءت الأقدار ألاّ يكون حظي من الوالد مثل حظوظ الأبناء بوالديهم عادة، فقد غادرنا في رحلة امتدت زهاء اثني عشر عاماً وأنا طفل رضيع وحكم عليّ ألا أكون كسائر الأبناء، فقد سمعت عنه ولم أسمع منه طوال فترة الحداثة ونصيبي منه آنذاك لم يكن أكثر من صورة شمسية باهتة له، كذلك لم تتح لي الظروف بالكثير منه بعد عودته من منفاه، إذ سرعان ما أرغم على مصارعة أمواج بحر الرابع عشر من تموز المتلاطمة، بدءاً بعلاقة قلقة مع عبد الكريم قاسم ومروراً بمتاعب الحزب الذي كان على رأسه وانتهاءً بقيادته ثورة أيلول وكلها كانت تستأثر بجل وقته وتبعده عن المحيط العائلي.

لما بلغت أشدي وسمح لي في عام ١٩٦٢ بالانضمام الى صفوف البيشمركة الى جانبه ما كان بوسعي في تلك السن المبكرة ومع ظروف الثورة من حل وترحال ومعارك واجتماعات ان أعرفه معرفة صميمة وبقيت علاقتي به علاقة وظيفية، وندر أن خلوت به إلا لتلقي التوجيهات والأوامر والتوصيات أو المشاركة في اجتماعات أو استطلاعات على الجبهة لم تكن رغم غناها- كافية في نظري للمعرفة الوجدانية الصميمة التي كنت أطمح إليها دائماً، إلا خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته وهي أعوام مرضه وكنت إذ ذاك قد بلغت السن التي تمكنني من الحكم على الأمور والطبائع البشرية بشكل عام.

وهكذا خلال هذه الأعوام الثلاثة اكتشفت في الوالد ما عز عليّ اكتشافه طوال السنوات العشر التي رافقته فيها جندياً.

وتأكدت من كل ما سمعت مما يعزى إليه من الجلد والشجاعة وما روي لي عن صفاء ذهنه وصبره أمام الخطوب والمآزق ووقوفه إزاءها بحزم وبرودة دم.

وقد شاهدتها بعيني في أثناء صحبتي له لكني ما كنت أتصور أنها ستبلغ المبلغ الذي وصلته عندما أدرك طبيعة الداء المبتلى به إدراكاً تاماً وعلم بأن أيامه معنا أصبحت معدودة.

فقد راح هو نفسه يخفف عنا وقع الصدمة ويشد من عزمنا ويهيئنا فكرياً لاستقبال نهايته كما لو كنا نحن المبتلين وهو السليم المعافى.

ظل أبداً ذلك الرجل الصلب العود الشديد العزيمة أمام الموت لم يطرأ أي تغيير على طبعه الجاد وفكره السليم ولم يكن يقتضي منه ذلك أي جهد أو افتعال بل بقي على سجيته المأثورة.

تراه ينصح ويقترح ويشد من العزائم في أحاديث لا تخلو من مرح وفكاهة أحياناً إلا أنه كان يستشهد بوقائع وحكايات وأمثال وآيات قرآنية بالمناسبة وكل قصده تبديد وحشتنا وتفريج كربتنا وبث العزيمة فينا.

لا مراء في أن معظم هذه القوى الروحية التي صاحبت حياته إذ ذاك كان يعود الى إيمان راسخ قوي بالمشيئة الإلهية، وهي بالتأكيد ثمرة تربيته الدينية ونشأته على آداب الطريقة النقشبندية وقد لقنها منذ الحداثة، فضلاً عن تجاربه الجسام العديدة بحياة تحف بها الأخطار والمحن والارزاء، فقد ولد بعد وفاة أبيه بشهرين ودخل السجون في حضن أمه وهو ابن ثلاث سنوات، وكان حدثاً عندما نال معلمه وأخوه الأكبر الشيخ عبد السلام الشهادة، وبلغ أشده في رعاية أخيه ومثله الأعلى الشيخ أحمد وحمل السلاح وعبء القيادة وخاض المعارك وهو في مقتبل الشباب ضد جيوش نظامية ونقلته المنافي وبلاد الغربة في منطقة واسعة من الكرة الأرضية من (أرضروم) على الحدود الأرمينية شمالاً والى الناصرية في جنوب العراق ومن الديوانية غرباً الى مهاباد شرقاً، فضلاً عما كابده من ترحيل قسري داخل الاتحاد السوفيتي على يد حكام غلاظ.

وفي معظم هذه المنافي إن لم أقل في كلها كان ثقل العناية بأفراد العشيرة والرفاق الذين شاركوه النفي يقع على عاتقه بشكل طبيعي فلا يتردد مدركاً بطريقة ما أنه صاحب رسالة وأنه خص واختير لحمل هذا العبء وان عليه تحمل تبعاته بكل ما ينجم عنها من عناء وتضحية وبشجاعته الخارقة أثبت وجوده وهو في مقتبل العمر.

وقد كفله الشيخ احمد وعني بتربيته وتلقينه المبادئ التي فرضتها الطريقة، ومنه ومن الشيخ عبد السلام ومن خاله أحمد بيرسيافي تفهم ذلك الطابع الجهادي الذي اتسمت به النقشبندية وهو عدم الفصل بين الأسس المثلى لتعاليم الدين وبين حب الوطن والشعب والدفاع عنه والجهاد في سبيله، ومن أسمى تعاليمها المساواة الاجتماعية والتواضع والتسامح الديني عملياً وبأحلى مظهر، كما بدت له برزان التي بقيت أبداً وطن اليهود والمسيحيين بقدر ما كانت وطن المسلمين، هذه التربية وجدناها تنعكس على القرارات المصيرية التي كانت شؤون ثورة أيلول تضطره الى اتخاذها لتأتي مثلاً يضرب بالعدالة والحكمة.

وفي صفحات التاريخ قدر مطالعتي فيه أمثلة لحسن القيادة ووقائع تضرب وتذكر لزعامات كانت المقارنة معها لابد منها، وأنا لا اعتقد أنني قرأت عن قائد أو زعيم سياسي ملك من التجارب العملية قدر ما ملكه الوالد فان أساليبه عملية تستمد قوتها من الواقع ومن تلك الملكة التي تخصص بها القياديون الملهمون.. رأيته مثلاً لا يمنح ثقته الكاملة لأحد من أعوانه ومساعديه وإن منح ثقة فبعد اختبار وبصعوبة تعادل حجبها عن الغير، مع هذا فالشك ليس من طبعه وميزان تقديره هو التجربة بعد التجربة وحسن الأداء، واسترسالاً من هذا اتضح لي السر الذي كان يختفي تحت الوصايا والأوامر الباتة القاطعة السياسية منها والعسكرية والمتعلق منها بالقرارات المصيرية، فهي نابعة من ثقة في النفس لا حد لها وهي الثقة التي تلازم أصحاب الرسالات المختارين وهذه الثقة تفسر إصراره الشديد على المضي قدماً فيما اختاره حتى النهاية ومهما كلفه الأمر دون تراجع.

اتضحت لي هذه الجوانب من حياة البارزاني خلال ملازمتي له طوال السنوات الثلاث وقد زادت هذه الجوانب حساسية وظهوراً من خلال الاهتمام الكبير الذي كان يخصني به وزيادة التلطف معي عند إصراري على الالتصاق به والقيام على خدمته فلم يعترض إلا انه كان يشفق على تفرغي إليه، وحدث ذات يوم أني تلقيت مكالمة هاتفية من أخي إدريس في إيران حيث قال لي: إن أطفالي هناك يريدون التحدث اليّ عبر الهاتف وكان سؤالهم (متى تعود ؟) رددوا ذلك مراراً وتكراراً وأحرجتني الإجابة إذ لم أكن أرغب أن يفهم الوالد ورحت أتهرب من الإجابة بمحاولات أدرك الوالد معها أني أخفي عنه شيئاً يتعلق به فألح بعد نهاية المكالمة في معرفة أسباب مناورتي وغموضي في الإجابة على أسئلة الأطفال، ولم يسعني غير قول الحقيقة آنذاك وبدا عليّ التأثر الشديد حيث قال لي:

-يا بني ها أني أظلمك وأنت بهذا تظلم أبناءك فمن أجلي أنا يحرمون عطف والدهم وهذا كثير أجبته وفي نفسي ما فيها: يا سيدي ويا والدي كان قصدي الأول والأخير أن أنال شرف خدمتك وهو ما عز علي نيله طوال وجودي معك أيام الثورة ورجائي إليك الا تستكثر علي مثل هذا الشرف ودعني أنعم به، حقاً إني أحب أولادي لكني- وأقول هنا هذا من كل قلبي- أطلب من الله أن يجعلني وإياهم فدى لك، أنا الآن أحظى بتكريم ومقام طالما تمنيتهما وهما الحظوة بشرف خدمتك والبقاء الى جانبك ولن أتنازل عن هذا التكريم فرجائي منك الا تسمعني شيئاً من هذا القبيل.

إن حياة البارزاني الحافلة وأثرها الباقي وإسهامها في النهضة القومية الكردية بإخراجها من الحيز المحلي الضيق الى الأفق العالمي بل قل تدوينها لم تكن بحاجة الى قلمي فقد جرى تقويمها ووضعها في مكانها التاريخي قبل عقدي النية على الكتابة وقبل أن يوافيه الأجل بزمن بعيد، وأولئك الذين حاولوا النيل والانتقاص من دوره الكبير في إحياء آمال الأمة الكردية بالحرية، وحرصوا على تسقط ما اعتبروه هفوات وأخطاء له في مسيرته القومية، والنيل من المكانة التي بوأه إياها الشعب الكردي والتاريخ الحديث هؤلاء أسقطهم التاريخ من حسابه قدر ما لقيت مجهوداتهم في هذا السبيل من احتقار وإهمال ولا عجب أن كان محط إعجاب كل من إلتقاه وجالسه هناك وكلهم من علية القوم ورجال السياسة.

عن كتاب البارزاني والحركة التحررية الكردية ج٣

البارزاني الخالد مع نجله مسعود في صورة التقطت عام ١٩٧٨

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

القائد البارزاني كان مصدر إلهامي

جلال الطالباني

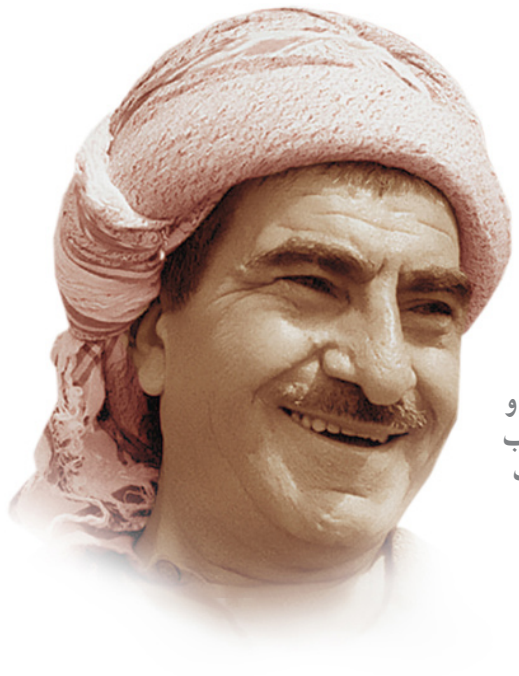

حينما كنت شابا، كان حلمي الأول أن أكون أستاذا جامعيا، و لكني صدمت بالأوضاع التي كانت سائدة في بلدي و التي كانت تسير نحو الأسوأ، و أن المشاكل التي يواجهها المواطن العادي كانت في تصاعد، و وجدت نفسي انسحب بصورة متزايدة إلى عالم السياسة. بدأت حياتي السياسية مبكراً منذ كنت تلميذاً في المدرسة الابتدائية و شغفت بالقصص التي كان يرويها زميل لي في الدراسة عن المقاومة البطولية للمقاتلين الأكراد في الثورة البارزانية التي اندلعت عام ١٩٤٥ و تصديهم البطولي لهجمات الجيش العراقي الذي كان يقاتل آنذاك بإشراف جنرال بريطاني، و كانت مصدر إلهام لي، أما مصدر إلهامي الثاني، فقد جاء من الخارج عبر الحدود من جهة الشرق، من مناطق كردستان إيران التي تم تحريرها من قبل الجيش السوفيتي و أصبحت ملاذا لحركات التحرر الكردية.

في عام ١٩٤٦، أقيمت أول دولة كردية في التاريخ و عاصمتها مهاباد وذلك بمساعدة السوفيات الذين أصبح اسمهم و أفكارهم الماركسية منتشرة بين الناس، و التحقت بمدرسة كويسنجق في كردستان العراق، و كنت أقرأ الأشعار الوطنية في المدرسة كل صباح في الاصطفاف اليومي فأصبحت معروفاً لديهم. جذبت انتباه الحزبيين الموجودين هناك الذين أخذوا يتقربون مني و يرغبون بضمي لأحزابهم، و كان الحزب الشيوعي العراقي و الحزب الديمقراطي الكردي الذي أصبح فيما بعد الحزب الديمقراطي الكردستاني، حاضرين في تلك الفترة. في البداية نظمني كادر شيوعي في خلية تثقيفية، لكن سرعان ما اختلفت معهم حول موضوع هل الكرد شعب لهم حق تقرير المصير أم لا ؟ فانفصلت عنهم. وسرعان ما شجعني احد المعلمين، الذي كان عضوا في الحزب الديمقراطي الكردي، على تأسيس جمعية طلابية سرية، انضممت بعدها إلى صفوف الحزب الديمقراطي الكردي، مازلت أتذكر تلك اللحظة عندما أعطاني صديق عمري و رفيقي عمر دبابة البيان التأسيسي للحزب و الذي حمل توقيع القائد مصطفى البارزاني شخصيا، فأصبحت مؤيداً لأن صغر سني لم يساعدني على نيل العضوية فوراً، وعندما أصبحت في السادس الابتدائي تم كسبي للحزب من قبل أحد المعلمين الذي كان يجتمع بنا سراً في بيته، ثم تم ترشيحي وقبولي عضواً في عام ١٩٤٧ بشكل استثنائي نظرا لنشاطي ودوري في الحركة الطلابية، وفي عام ١٩٤٨ وبعد الانتفاضة الوطنية في بغداد التي اندلعت ضد تجديد المعاهدة البريطانية العراقية، تهيأت أجواء تسمح بإجراء الانتخابات في جميع المعاهد و الكليات و المدارس المتوسطة والثانوية، و اتخذت خطوتي الأولى في النشاط السياسي العراقي في ربيع ذلك العام، عندما كنت في عمر ١٥، حيث انتخبت عن متوسطة كويسنجق مندوباً للمؤتمر التأسيسي الأول للاتحاد العام لطلبة العراق، وجرى انتخابي عضواً احتياطياً للجنة القيادية للاتحاد العام لطلبة العراق بعد التوافق بين ممثلي الأحزاب المشتركة في المؤتمر، و هكذا انغمرت أكثر فأكثر في النشاط السياسي، و أصبحت في عام ١٩٤٩ عضواً في اللجنة المحلية البارتي (الحزب)، و في عام ١٩٥٠ انتخبت عضواً في لجنة المحافظة، وفي أثناء ذلك، كان اتحاد الطلبة العراقي يثير انتباه السلطات، وتم اعتقال و طرد الكثير من قياداته، و هكذا وخلال أعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٢ ابتعدت عن النشاط في اتحاد الطلبة و انغمست في النشاط الحزبي و السياسي. في عام ١٩٥١ انتخبت عضواً في المؤتمر الثاني للبارتي، و قد تبنى الأفكار الماركسية - اللينينية و أقر التوجه نحو جماهير العمال و الفلاحين و الكسبة و الطلبة وتطبيق الإصلاح الزراعي، و انتخبت أيضا عضوا في اللجنة المركزية، إلا إني تنازلت لأحد الرفاق المحامين الخارجين من السجن نظراً لاجتيازه تجربة السجن و ثقافته و عمره، إذ لم يتجاوز عمري (١٨) عاماً. في صيف ١٩٥١ اعتقلت اول مرة و كنت ضمن كوكبة من مناضلي الحزب الذين تم نفيهم إلى الموصل حيث بقينا لمدة شهرين. و خلال العام الدراسي ١٩٥١ - ١٩٥٢ انتقلت الى ثانوية كركوك حيث شرعت بإعادة بناء تنظيم الحزب المشتت، فجمعت عناصر عمالية و طلابية ومدرسين لتشكيل اللجنة المحلية للبارتي. وغداة تخرجي في الثانوية بدفعتها الأولى، و بدرجة تؤهلني لنيل زمالة دراسية خارج الوطن فضلت البقاء في البلاد و الدخول الى كلية الحقوق، حيث اشتركت واول مرة في تظاهرات طلابية عديدة في تشرين ١٩٥٢ ، و واصلت نشاطي السياسي، حيث انتخبت عضواً للمؤتمر الثالث للحزب الذي عقد في كركوك في كانون الثاني ١٩٥٣ بعد ان جرى تصديق التعديلات التي اقترحها المؤتمر الثاني على اسم الحزب و برنامجه اليساري الجديد وأصبحت عضواً في اللجنة المركزية للحزب، وبناءاً على توصيات المؤتمر الحزبي تركزت جهود عديدة لتأسيس اتحاد طلبة كردستان العراق و حالفني التوفيق، مع مجموعة من الرفاق في تأسيسه، واول مرة في حياتي، كتبت كراساً عنوانه اتحاد طلبة كردستان العراق لماذا ؟ ونجحنا في إقامة فروع للاتحاد في المدن الكردية، وانتخبت أميناً عاماً لاتحاد طلبة كردستان، وفي نفس العام أسهمت في تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطي الكردستاني و تم اختياري أميناً عاماً له، كما أصبحت عضواً في المكتب السياسي للحزب في العام ذاته.

، و لم يكن نشاطي محصورا في العراق فحسب بل سعينا إلى نقل قضيتنا إلى المجتمع الدولي، ففي صيف ١٩٥٥ سافرت بصورة سرية إلى سورية، حيث أجريت اتصالات مع الشخصيات الكردية القيادية هناك، ومنها الى بولونيا للمشاركة في مهرجان الطلبة والشباب العالمي،

، وقد وجهت لنا دعوة ضمن الوفد العراقي لزيارة جمهورية الصين الشعبية، حيث سافرنا بالقطار من وارشو الى بكين عبر الاتحاد السوفيتي. وفي أثناء الزيارة شاركت في عدد من الاجتماعات وقدمت شرحا عن الحركة التحررية الكردستانية ، وقدمت في إحد اللقاءات هدية اتحاد نساء كردستان الى صن يات صن نائبة رئيس الجمهورية الصينية آنذاك و نقلت لها رسالة تضامن من اتحاد نساء كردستان. خلال العودة بقيت في موسكو لمدة أسبوعين، حاولت خلالها الاتصال برئيس حزبنا، الجنرال البارزاني المنفي هناك و لم أوفق في ذلك. لكني ألقيت كلمة في راديو موسكو هاجمت فيها المشاريع الاستعمارية التي كانت تنفذها الحكومة الملكية في العراق. وبعد عودتي الى الوطن، ألقي القبض علي بسبب ذهابي إلى موسكو و إلقائي تلك الكلمة، و أطلق سراحي فيما بعد لعدم ثبوت التهمة.

و في عام ١٩٥٧ ، سافرت ثانية الى سورية ومنها الى الاتحاد السوفيتي لحضور مهرجان الشباب والطلبة فيها وذلك ضمن الوفد العراقي، حيث اشتركنا كفريق كردي ضمن الوفد العراقي في فعاليات عديدة وقدمنا هدايانا باسم شبيبة كردستان، ومنها هدية نسائية لام البطلة السوفيتية زويا. بعدها التقيت قائد حزبنا الجنرال مصطفى البارزاني حيث تباحثنا معاً لعدة أيام في أحوال الحزب ورتبنا قناة للاتصال المنظم معه، ورجعت حاملاً صوره الجديدة الى الرفاق في سورية أولا ثم الوطن، وفي سورية ساهمت في تشجيع المناضلين الكرد على تأسيس حزبهم الديمقراطي، و كذلك قمت بتشكيل وفد من السياسيين الأكراد لغرض لقاء الحزب الحاكم في سورية و المسؤولين الحكوميين لغرض التوصل الى تنظيم لقاء بين الجنرال البارزاني و جمال عبد الناصر عندما كان الأخير في زيارة الى موسكو، و اتفقنا على قيام الحكومة السورية بتزويدنا بالأسلحة إذا ما أعلنا الثورة على الحكومة العراقية، ثم عدت الى بغداد ومنها الى السليمانية التي اتخذتها مقرا للتواري عن أنظار السلطة، حيث توليت مسؤولية جهاز الطبع و إصدار النشرة الحزبية. و في صبيحة ١٤- تموز ١٩٥٨ ، عندما قاد عبد الكريم قاسم الجيش ضد الملكية و أعلن الجمهورية، تركت المكان الذي كنت اختبئ فيه، وتوجهت إلى كركوك لحضور اجتماع للجنة المركزية للحزب و أعلنا التأييد للثورة و عبرنا عن أمانينا بأن تسود الديمقراطية في العراق، وان ينال الأكراد حقوقهم القومية ضمن العراق الجديد. و بعد فترة و جيزة حصلنا على امتياز اصدار مجلة أسبوعية سياسية باسم "رازكاري" و صحيفة الحزب اليومية "خبات" و من حينها بدأت العمل في الصحافة العلنية، واشتركت في انتخابات نقابة الصحفيين العراقيين حيث انتخبت عضواً في اللجنة القيادية للنقابة. وعدت إلى الكلية لإكمال الدراسة، حيث أكملت دراستي للقانون في عام ١٩٥٩ و كنت ضمن خريجي أول دفعة لجامعة بغداد، التي كانت قد تأسست حديثاً. و بعد التخرج أديت خدمتي العسكرية بصفة آمر وحدة دبابات في الجيش العراقي، و كنت ضمن الوجبة الأولى التي تدربت على الدبابات السوفيتية الصنع تي ٥٤ المستوردة حديثا، مارست العمل في جريدة الحزب اليومية، حيث انني لم أمارس مهنة المحاماة، بعد تسريحي من الخدمة العسكرية، إلا في الدعوى المقامة على رئيس تحرير الجريدة وسكرتير الحزب الأستاذ إبراهيم احمد. وفي اثناء عملي الصحفي، بدأت بالكتابة عن حركات التحرر في العالم،الا ان الافكار والمباديء التي قامت عليها حركة الزعيم البارزاني ظلت مصدر إلهام لي.

جزء من الكلمة التي ألقيت للرئيس طالباني في جامعة كيمبرج البريطانية
٢٠٠٧/٠٥/١٥

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

في ذكرى الغائب الحاضر

عـــزيـــز محـمـد

مع مجموعة من المقاتلين

من الصعوبة الحديث عن البدايات وعن الخطوات الأولى في أي عمل، فذلك يشبه السير في العتمة وارتياد المجهول، فكيف إذا كان هذا العمل وهذه الخطوة يتعلقان بالانغمار في الكفاح من أجل تعديل وتصحيح خطأ تاريخي لاحق الشعب الكردي ولازمه، وأورثه سلسلة لا نهاية لها من الكوارث والنكبات منذ عهود غابرة وأمسى هذا الخطأ هو الصحيح وهو الذي يجب ان يبقى ويتأصل، وصار العمل والنضال من أجل تصحيحه جريمة لا تغتفر.

وإذا تجنبنا الدخول في عمق التاريخ وكذلك الحديث عن الإمارات الكردية فإن محاولات ونشاطات الخالدين الشيخ النهري والشيخ عبد السلام البارزاني والملك محمود الحفيد والشيخ سعيد بيران وقادة آكري والشيخ أحمد البارزاني ورئيس جمهورية كردستان في مهاباد القاضي محمد تدخل في هذا الإطار برغم الاختلاف والتباين من حيث المستوى والأهمية وتأثير كل منها في استنهاض الحركة القومية الكردية وتعزيزها ودورها في تأمين مستلزمات انطلاقها لاحقاً.

وإذا كان برزاني الخالد معلماً من تلك الظاهرة التاريخية، وتتصل خطواته الأولى بخطوات أولئك الخالدين فإنه قد تجاوزهم بفعل الزمن وتطورات الأوضاع عموماً التي شهدت صعود الوعي القومي واستعداد الجماهير للعمل بمختلف الأساليب وقدرتها على التماسك والوحدة، إضافة الى مزايا البارزاني الشخصية التي تفرد بها وتجلت فيه القيادة على نحو أوضح وتأمينه استمراريتها لفترات زمنية طويلة حتى أخذت تترك بصماتها الواضحة على حركة الشعب الكردي التحررية ومسيرته كلها، كما كان لها صداها العالمي بين الأطراف الأخرى الصديقة والعدوة.

نعم انه لتقليد جيد وضروري ان نلقي نظرة بين حين وآخر على هذا الماضي وهذا التاريخ، تاريخ وسيرة رجالاتنا الذين كانت لهم الريادة في مجرى الحركة الثورية الكردستانية وعلى رأسهم البارزاني الخالد، وفي هذا السياق علينا ان نزن الأمور بميزان العلم والتاريخ آخذين بعين الاعتبار ظروف وزمان ومكان الحدث ونجاحاتنا وإخفاقاتنا وان نستشرف في ضوئها آفاق المستقبل ونحكم الخطى ونغذّ السير على ان نعي ونستفيد من تجاربنا الخاصة، ومن تاريخ وتجارب الآخرين لكي لا نلدغ من الجحر نفسه مرة أخرى، صحيح ان قضيتنا قد رافقتها منذ البداية تعقيدات لا حصر لها واحاطتها صعوبات قل نظيرها، ولكن لكي لا نجعل من كل ذلك شماعة نلقي عليها جميع مشاكلنا، فاننا نتساءل: ألم يكن للعامل الذاتي المتمثل بتقصيرنا وأخطائنا الخاصة دور سلبي زاد في تعقيد الامر؟ الم نضع بعض الفرص الملائمة التي فرضتها نضالات شعبنا والاوضاع المؤاتية نسبياً، وصعوبات الخصم، وتوازنات القوى، لكي نواجه بعد ذلك الأمر الواقع المر والدرامي ومسلسل الكوارث؟ الم نقرأ ونسمع عن المذابح البشعة بين الأخوة وأبناء العائلة الواحدة، بتحريض من هذه الجهة او تلك من أعداء الكرد وكردستان؟ الم نكن نميل أحياناً، وحتى الماضي القريب الى القبول بأعدائنا، الذين اقترفوا فينا المذابح قادة علينا ولم نخضع لقائد من عندنا؟ لسنا نعيش هذه الأيام شيئاً من هذا الماضي المأساوي.

نحن الآن أمام منعطف مهم قد يمكننا من طي صفحات الماضي المؤلمة، واحداث تحول تاريخي لتعديل مسار حركتنا في الاتجاه الصحيح، وصياغة رؤيتنا، بما يجعلنا أبناء زماننا هذا، فكراً وسياسة ووسائل عمل وممارسات عبر رصد المتغيرات التي تطول كل ميادين الحياة في كل لحظة، وان ندقق سياستنا في ضوئها، ووفقاً لتطورات الأوضاع على ساحتنا وفي محيطنا، داخلياً وخارجياً، لان السياسة التي لا تنبع من واقعنا ومتغيراته المستمرة، وعلائق وتوازنات القوى ونتيجة استيعابها، لا يمكن ان يكتب لها النجاح أبداً، بل ستشكل ارتداداً انتحارياً لحركة شعبنا الكردستاني، وفي هذه الظروف الحرجة التي يجتازها العراق- والكرد جزء مهم من نسيجه الوطني-، يتحتم علينا ان نتضافر مع الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية، وان نكرس مواقفنا المستقلة النابعة من مصلحة شعبنا العراقي كلها للتأكيد على حريته واستقلاليته، وإراداته الحرة في صياغة وجهة تطوره ومستقبله.

ان المسيرة البطولية الطويلة للبارزاني الخالد، وفي مراحلها المختلفة، غنية بالدروس والعبر، بل ان غيابه الاضطراري أيام اللجوء، كان حضوراً مهماً ومحركاً لاطراف واسعة من الحركة الكردية، وأملاً واعداً بمواصلة المسيرة، عاجلاً أم أجلاً، الأمر الذي تحقق في ثورة أيلول المباركة. ان ما يركن اليه في قياس دور ومكانة القائد لا يتحدد فقط في تثمين جميع جوانب نشاطاته في أثناء حياته، على ما في ذلك من أهمية بالغة، بل كذلك في الوضع الذي ينشأ بعد رحيله وكلما بعد عهدنا به، وعن تأثيره المباشر، تظل الحاجة الى التساؤل عما اذا كنا نفتقده حينما نواجه المشاكل، ونحتاج الى استذكاره واستحضاره كلما واجهت حركتنا مصاعب ومشاكل جديدة وهل نستمد من رصيد تجربته التاريخية النصيحة عندما تتشابك الأمور أمامنا وتتعقد؟ وهل مازالت اوساط واسعة من الجماهير تشعر بانها واقعة تحت تأثير براعته، مأخوذة بقوة مثله؟ بمعنى اخر هل مازال حاضراً رغم غيابه يسهم في قيادة المسيرة بقوة الهامه ومضاء تأثيره المعنوي؟ اذا كان ذلك صحيحاً، والكثير منه صحيح بالنسبة للبارزاني الخالد، فهل يعود السبب الى قامة القائد، وسعة افقه وعمق تجربته ورؤيته فقط، ام يعود بعض ذلك في الأقل الى ضعفنا وقصورنا الذاتي أيضاً؟

لقد انتكست ثورة أيلول تحت تأثير عوامل شتى معروفة ،ولكن الحركة السياسية الواسعة، والنهضة القومية العارمة التي أحدثتهما الثورة عند انطلاقتها وفي مجرى تطورها برغم مظاهر الضمور التي انتابتها بعد النكسة مباشرة ظلتا جمراً يومض تحت الرماد وسرعان ما التهب واشتعل أوارها، نعم لقد تفرقت كوادر وقواعد الحركة على عدد من التشكيلات والأحزاب السياسية لكن غالبيتها العظمى خرجت من رحم حركة كردستانية واحدة وبشعارات ومواقف تكاد تكون متماثلة او متقاربة أنيا في الأقل برغم الخلافات والتقاطعات الداخلية التي احتدت أحياناً وألحقت أضراراً كبيرة بالحركة، هل نستطيع ان نفصل التأثيرات التي أحدثتها ثورة أيلول واستمراريتها باشكال مختلفة وتنوع وتعدد روافدها عما نحن عليه اليوم، وما تحقق منذ أيام الانتفاضة الشعبية المباركة في ١٩٩١ وحتى الآن من نجاحات على مختلف الصعد، كما يمكن أن تكون أكبر وأشمل لولا الأخطاء والاقتتال وغياب الوحدة.

أن علينا اليوم أن ندرس تاريخنا البعيد والقريب بعيون ثاقبة ونظرة موضوعية وأن نبتعد عن تشويه تاريخنا تحت تأثير الكره المقيت والحب الأعمى، ومثل هذه الدراسة للتاريخ وحدها يمكن أن تشكل أساساً راسخاً يرفد حركة شعبنا بكل ما يعززها ويمد أجيالنا المقبلة بكل أسباب القوة والظفر.

وإذ نحن الآن أمام مرحلة الانبعاث الوطني القومي ينبغي أن تخيفنا الصعوبات والأخطاء فهي قد تحصل فعلاً وعلينا أن لا نضعف أمامها وألا ندعها تتفاقم وأن نواجهها بعزم وحزم وبأقل ما يكون من التفريط بالموارد البشرية والمادية، فالإنسان مهما كان نظيفاً وحريصاً ومخلصاً سوف يكون أنظف وأحرص وأكثر إخلاصاً وشعوراً بالمسؤولية إذا شعر أن هناك من يتابع ويقوم عمله ليستحسن الجيد ويصحح الخطأ ويضع حدوداً لأي تجاوز.

ورب سائل يسأل: هل خلت مسيرة البارزاني الطويلة من الأخطاء؟ وهل لشخص أيا كان أن يتبوأ مركز الصدارة في قيادة الحركة الكردستانية كل تلك الفترة الزمنية الطويلة في ظروف كردستان المعقدة والمجزأة أرضاً وشعباً ومن دون نصير أو صديق ووسط الأعداء في الجهات كلها ومؤامراتهم، هؤلاء الذين لم يتورعوا عن تسخير كل شيء بما فيه الدين وبشكل مخل ضد الشعب الكردي وتغيير هويته، بل حتى إبادته، وأقول: هل لشخص يعمل وسط كل هذه الأجواء والعوامل العدائية يغذ المسير في مناكب الأرض ولا يحلق في السماء، ألا يتعثر؟

وأخيراً وليس آخراً فمهما قيل عن البارزاني وعن المراحل المتباينة التي عايشها والبصمات التي ترك على كل واحدة منها فإن من الصعب إيفاؤه حقه، إذ كيف يمكن اختصار واختزال السنوات الطويلة بكثرة تلاوينها وانعطافاتها وبهذا الفيض المتلاطم من المشاعر والانفعالات التي تنتاب القائد في ساحة المعركة وقت الشدائد والمحن وبهذا الكم الهائل من المشاكل والتعقيدات التي تحيط به داخل دائرة من الأعداء المتربصين، كيف يمكن أن تلخص بكلمات وجمل نسطرها على الورق؟ وهل يتساوى الحديث عن الجوع ونهش أنيابه مع المعاناة الحقيقية منه؟ أو آلام المخاض العسيرة مع وصفها؟ أو أن نعيش نكسة عسكرية أو سياسية وجهاً لوجه مع الكتابة عنها؟

لقد كان البارزاني مثقلاً بعبء المسؤولية التاريخية، وإن أي قائد كالبارزاني كان لابد من أن يشعر بمسؤوليته أمام الشعب، إذ يرى أن ما يصيب الشعب يصيبه ويشعر بمعاناته.

لقد دخل البارزاني التاريخ من أوسع أبوابه وهو الغائب الحاضر، ويكفي دلالة ومغزى ان اسم البارزاني أصبح مرادفاً في كثير من الأماكن والمناسبات للكرد وكردستان، ولا يسعنا إلا أن نذكر بإجلال وتقدير الشهداء من القادة البارزين الخالدين والكواكب المتألقة من حركة التحرر العراقية والكرد وكردستان وفي مقدمتهم القائد الأسطوري الرمز البارزاني.. النصر للكرد ولكردستان، والظفر لنضال القوى الوطنية والديمقراطية من أجل عراق ديمقراطي تعددي فيدرالي.

عن كتاب الذكرى المئوية لميلاد البارزاني الخالد

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

ذكرى البارزاني هي افتخار بتاريخنا

د. فؤاد معصوم

ان كل شعب يفتخر بشخصياته البارزة ومثقفيه، والشعب الكردي هو أحد تلك الشعوب، حيث كان الكرد منذ القدم يعتزون بهؤلاء وكانوا حسب تصورهم ومفاهيمهم آنذاك يسمونهم أولياء الله ورجاله الصالحين يزورون قبورهم لمناجاتهم طلباً للتبرك وتحقيق ما في قلوبهم من أمان وأمل لعلهم ينالون خيراً، ولكن اليوم قد تغيرت تلك المفاهيم والتصورات وتطورت كثيراً، تجسمت تلك الشخصيات في قادتنا ومثقفينا البارزين يجب الا ننساهم، وعندما نأتي اليوم لتقييم هؤلاء نرى ان الملا مصطفى البارزاني الخالد هو أحدهم وفي القمة، لذا فإن ذكرى الملا مصطفى الخالد هي افتخار بتاريخنا وافتخار بماضينا وبنضالنا.

فأنا كنت أحد الذين كان لهم شرف لقائه لعدة مرات وقد تلقيت منه أبلغ الدروس.

ففي إحدى المرات كتبت مذكرة الى مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الخارج، جاءت فيها فقرة تقول: "إذا لم تحل المشكلة الكردية في العراق، فسوف تصبح كردستان قبرصا ثانية"، كنت اقرأ له تلك المذكرة، توقف وقال لي: اقرأها ثانية.. فعندما أعدت له القراءة قال لي: من كتب هذه المذكرة؟، قلت: الشخص الفلاني، عند ذلك اقسمني اليمين ان أبلغه كلماته القاسية، لأن للتهديد حدوده، وقال: إذا قلت لك أرميك بهذه الصخرة الضخمة فأنت تضحك ولا تحسب لتهديدي أي حساب ولكن إذا قلت لك أنا أعرف ماذا أفعل بك!، قال: تخاف من تهديدي، ثم قال: يجب عليكم ان تنتبهوا الى أقوالكم في الخارج، عندما تكتبون شيئاً يجب ان تكتبوا بتواضع، تكتبون على هذه الشاكلة ولا تحددون الإجراء الذي تقومون به، فشتان ما بيننا وبين قبرص، وفي الحقيقة لا تزال نصيحته هذه ترن في مسمعي. ذكر لي الأستاذ الأخ عزيز محمد عن علاقة البارزاني الخالد مع المرحوم السيد جمال عبد الناصر، فتمثل بلقائه عبد الناصر عند عودته الى العراق عن طريق مصر فكنت أحد الذين عملوا في مصر في تلك الفترة، فعدت الى كردستان عام ١٩٦٥ وذهبت لأتشرف بلقاء البارزاني، فعندما وصلت اليه رحب بي فقد جلبت له رسالة من الخارج، فعلم ان المارشال تيتوهو في القاهرة ويمكث فيها مدة، فكتب رسالة الى تيتو وأخرى الى عبد الناصر، بما ان الوقت كان ضيقاً قال لي: أنت أكتب الرسالة الى عبد الناصر وأنا اكتب لتيتو، كتب هو الرسالة من دون تسويد ثم قال لي: أتعرف اللغة الروسية؟ قلت له: كلا، فترجم لي محتوى الرسالة باللغة الكردية مباشرة، فأعجبت به وبرسالته القديمة كثيراً ولاسيما بتسلسل أفكاره في صياغة عبارات الرسالة. وكذلك تلقيت منه درساً آخر، فعندما كتبت الرسالة العربية أعطاني دفتراً خاصا بكتابة الرسائل، أردت ان أقلب غلاف الدفتر وابدأ بكتابة الرسالة في أول صفحة منه، قال لي البارزاني: هذا غير صحيح، بل أقطع الورقة ثم اكتب عليها فوق جلد الدفتر حتى لا تترك الكتابة أثراً على الصفحة الثانية من الدفتر، فأخذت بهذه النصيحة القيمة درساً أخر ليكون العمل الدبلوماسي السياسي يحتفظ بسيرته لئلا يستفيد الآخرون من الأثر المتروك على الصفحة الثانية ويستغلوه، لذا أمل أن تكون كردستان أكثر تقدماً وازدهاراً عندما يحتفل بالذكرى المئوية لميلاد البارزاني الخالد لتكون كردستان آمنة وحياة شعبها سعيدة واقتصادياته متقدمة، ولا شك ان المخلصين يحسبون لذلك اليوم حساباً ويكلفون الباحثين والمؤرخين ليهيئوا أنفسهم من الآن لإعداد دراسات قومية ومستفيضة لا مقالات، بل يجب ان تستند تلك البحوث والدراسات الى وثائق ومستمسكات، حيث توجد بعض الوثائق السرية مبثوثة في بلدان أخرى يمكن جمعها الى ذلك الحين لأن تلك المستمسكات هي جزء من تاريخ أمتنا وتاريخ سيادة ونضال للسيد الملا مصطفى البارزاني الخالد، آملين ان تتحول ذكرى هذا النوع من زعمائنا الى سنة وقاعدة متبعة في المستقبل مع بالغ تقديرنا.

لا تزال نصيحته هذه ترن في مسمعي. ذكر لي الأستاذ الأخ عزيز محمد عن علاقة البارزاني الخالد مع المرحوم السيد جمال عبد الناصر، فتمثل بلقائه عبد الناصر عند عودته الى العراق عن طريق مصر فكنت أحد الذين عملوا في مصر في تلك الفترة، فعدت الى كردستان عام ١٩٦٥ وذهبت لأتشرف بلقاء البارزاني، فعندما وصلت اليه رحب بي فقد جلبت له رسالة من الخارج

كلمة القاها في المؤتمر الذي انعقد بمناسبة مرور ٩٠ عاما على ميلاد البارزاني

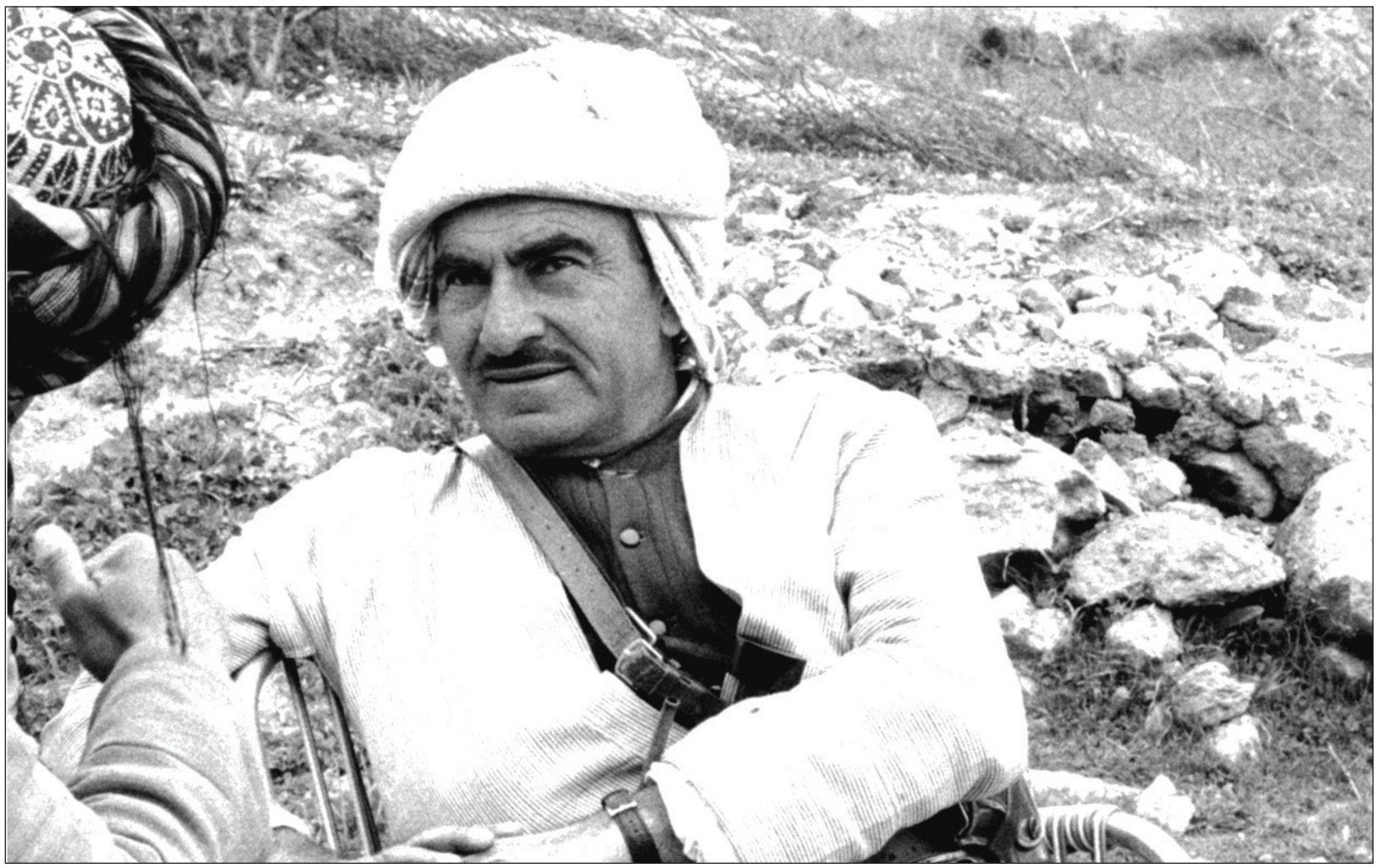

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

قصة "البلاد" مع البارزاني وقضية الأكراد

د. فائق بطي

صمم على كبح جماح الأرق اللعين والساعة تطوي عقارب الثانية بعد منتصف الليل رن هاجس في صندوق رأسه رنة الناقوس في باحة دير مهجور فانتفض مذعوراً باتجاه تكية السطح ونادى بصوت عال بعد ان لمح شبحاً يقف على بوابة الحديقة الواسعة:

– من هناك؟

جاءه صوت يرتجف:

– أنا علي عزاوي أستاذ.

– خير يا علي، هل حصل مكروه للمكائن؟

– كلا أستاذ.

– ومن معك يا علي؟

– رزاق وشمسي الطباع.

تعثرت خطاه وهو يسابق درجات السلالم للظفر بباب الحديقة وخلفه تتعثر خطوات الوالدة والزوج وكأنهما تسيران في منامهما من دون وعي، وقبل أن يتجه الى باب الحديقة سمع اسم (سامي)، تصلبت ساقاه فلم يعد يقوى على المشي.. صرخ:

– هل مات؟

أجاب علي بسرعة:

– لا أستاذ، اعتقلوه!

– من اعتقله؟

– رجال الأمن.

– متى؟

– قبل لحظات، تحروا الجريدة بعد ان جلبوه من البيت ثم اعتقلوه.

ارتدى ملابسه بسرعة وركب السيارة مع العمال باتجاه الجريدة.

كانت (البلاد) قد انتقلت من مكانها القديم في محلة جديد حسن باشا الى شارع السعدون في ساحة عقبة بن نافع مقابل السفارة الأمريكية وبجوار عمارة مبدر جاسم العملاقة، والمبنى لا يبعد عن عرصات الهندية في الكرادة- خارج- الا بضعة شوارع، حيث يسكن مع الوالدة والشقيقة (ايزيس)، اما سامي فكان هو الآخر قريب السكن في الكرادة أيضاً.

وجد العمال خارج مبنى الجريدة بانتظاره في الساحة الصغيرة أمام الباب الرئيسي. شاهد صفيحة القمامة وقد تناثرت منها الأوساخ وعلب الأحبار وأوراق الجريدة المطبوعة، وقد ظن ان كلاب وقطط المحلة قد عبثت بالمحتويات كعادتها، الا أنه ما ان وصل الباب حتى بادره الطباع الثاني (حسن) قائلاً:

– أستاذ.. شاهدتهم يجلبون براميل القمامة من خلف مبنى الجريدة.

قاطعه (علي عزاوي) وراح يقص عليه تفاصيل ما حدث من دون ان ينسى دحرجة كلمة "اوباش" بين ترانيم حديثه، قال:

قرعوا الباب الرئيسي للمطبعة أربعة مراتب يقودهم معاون اسمه (حاتم) توزعوا على غرف التحرير والمطبعة وفجأة صرخ أحدهم.. سيدي وجدناها، انشغلوا بتفتيش "اللفافة السوداء" واخرجوا منها بلطة كبيرة وسكاكين منقوشاً عليها حمامات بيض وكيساً يحتوي على مادة صفراء، ثم صرخ المعاون: الله أكبر أسلحة وزرنيخ؟ أكيد مؤامرة سألوا عن رئيس التحرير، غابوا ثم عادوا بعد نصف ساعة ومعهم أخوك سامي اخذوا يصورون المبنى وصوره معنا، ثم اقتادوه في سيارة بيضاء تقف على بعد أمتار من الجريدة واختفوا.

أنكب على الأرض والتقط عينة من التراب الأصفر ثم طلب من أحد العمال عود كبريت واشعل جزءاً منه فتكورت الحبات بسرعة تماما كما يتكور الطابوق في محارقه.. ضحك علي وقال:

– يا للسخرية.. بس أغبياء بحق هذه مهزلة.

اختنقت العبارات في فم مدير التحرير وهو يطلب من العمال ايقاف العمل في طبع الجريدة، ان القرار الذي اتخذه خطير في مثل تلك الظروف، لكنه صمم على تحدي السلطة ورجال الامن ومديرهم العام (عبد المجيد جليل).

لم تكن البورجوازية الوطنية على استعداد لحل المسألة القومية الكردية حلاً ديمقراطياً عادلاً بالرغم من إعلان العفو العام عن قادة الحركة الكردية الذين كانوا يعيشون في المنفى بعد فشل ثورة الملا مصطفى البارزاني أبان الحكم الملكي

زاره في تلك الظروف صحفي شيوعي (عدنان البراك) الذي كانت تربطه بالصحف التقدمية والديمقراطية (صوت الأحرار)، (الثبات)، (الحضارة) ومجلة (١٤ تموز) علاقات واسعة وطلب منه ان يكون أكثر حذراً في الكتابة عن المسألة الكردية خصوصاً بعد ان لوح عبد الكريم قاسم لمعارضيه بقانون المطبوعات الرجعي المفعول واتخاذه إجراءات ضد جريدة (الرأي العام) لصاحبها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري والحكم على رئيس تحرير جريدة (صوت الأحرار) لصاحبها لطفي بكر صدقي.

وعودة الملا وأركان قيادته من الاتحاد السوفييتي الى العراق بعد الإطاحة بالملكية. لقد اطلقت بعض الأوساط شعار "الصهر القومي" في صحافة عبد الكريم قاسم وبالذات جريدة (الثورة) لصاحبها يونس الطائي وبقلم كلوفيس مقصود، تلك الدعوة العنصرية التي وقفت بوجهها قوى الشعب الديمقراطية العربية والكردية وعرتها بعض الصحف التقدمية فأوقفتها عند حدها.

وكان لتحركات العناصر المستفيدة خارج وداخل سلطة تموز، وتوغلها في صفوف أجهزة الحكم الحساسة، أثرها ودورها الفعال في تعميق الخلافات بين عبد الكريم قاسم والقوى الوطنية والديمقراطية، وبالتالي بينه وبين الحركة الكردية تلك الخلافات والممارسات التي أدت الى اندلاع الاقتتال بين الأخوة العرب والأكراد وضرب الوحدة الوطنية وشركة النضال المشترك بين الشعبين الشقيقين، في حين كانت القوى الديمقراطية المخلصة للثورة تؤكد ضرورة تمتين وتعميق التضامن بين قوى الشعب بقوميتيه الرئيسيتين العربية والكردية وسائر الأقليات القومية الأخرى.

تجاه تلك المخاطر الجدية رفعت القوى الديمقراطية والوطنية الحريصة على مسيرة تموز شعار "السلم في كردستان" لعب الصحفيون الوطنيون دوراً كبيراً في ترميم الصدع أو محاولة ترميمه والتثقيف بأهمية الشعار لحماية المسيرة من مخاطر التآمر، كان ثمن ذلك الدور الحكم على بعضهم بالسجن ومنهم ثلاثة محررين في جريدة (البلاد): شمران الياسري المعروف بأبي كاطع، صالح سلمان، وحميد رشيد، كما اختفى البعض الآخر ومنهم (فخري كريم) الذي التحق بالجريدة قبل فترة قصيرة.

زاره في تلك الظروف صحفي شيوعي (عدنان البراك) الذي كانت تربطه بالصحف التقدمية والديمقراطية (صوت الأحرار)، (الثبات)، (الحضارة) ومجلة (١٤ تموز) علاقات واسعة وطلب منه ان يكون أكثر حذراً في الكتابة عن المسألة الكردية خصوصاً بعد ان لوح عبد الكريم قاسم لمعارضيه بقانون المطبوعات الرجعي المفعول واتخاذه إجراءات ضد جريدة (الرأي العام) لصاحبها الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري والحكم على رئيس تحرير جريدة (صوت الأحرار) لصاحبها لطفي بكر صدقي واعتقال المدير المسؤول لجريدة (اتحاد العمال) لسان الاتحاد العام لنقابات العمال.

وفي الوقت نفسه كان الحزب الشيوعي العراقي قد رفع شعار (تضامن- كفاح- تضامن) محذراً قيادة تموز

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

من مغبة إتباع سياسة اللين مع أعداء الثورة واضطهاد العناصر الوطنية خصوصاً بعد إصدار القانون رقم (٨٠) للاستثمار الوطني للنفط وتهديد الغرب بضرب المصالح الاقتصادية عن طريق إرباك عمليات التنمية، ان الهوية الوطنية لثورة تموز ما تزال أمانة في عنق كل وطني لأنها ثورة وطنية معادية للاستعمار، الا ان طبيعة الحكم بدأت تتخذ طابع الفردية وحكم الفرد المطلق. ان غياب الديمقراطية في أعقاب ثورة وطنية ديمقراطية ما تزال تقطع أشواطاً في مسيرة التغيير الثوري لبنية المجتمع من أجل بناء علاقات اجتماعية جديدة، ان غياب الديمقراطية هذا عامل مساعد على التآمر على الثورة والعكس هو الصحيح.

×××

جلس في غرفته بالجريدة يتطلع عبر النافذة الى الفضاء والسماء تحيك خيوط الفجر الرمادية وراح يرسم مع تبدل ألوانها صورة أولئك الذين حبكوا خيوط قميصهم المهلهل فزاده انبلاج الصبح الدافئ عناداً وإصراراً على التحدي.

مع ساعات الصباح الأولى شعر بقوة المغامرة وهو يرد عبر الأسلاك الهاتفية على القراء الذين افتقدوا جريدتهم ويطمئنهم بان الجريدة بخير، سأله الرئيس سعيد الدوري السكرتير الصحفي لعبد الكريم قاسم عن سبب تأخر صدور (البلاد)، رد عليه بنبرة عتاب:

– ان حماة الأمن في البلاد قد اكتشفوا مؤامرة "بلادنا"!

استغرب السكرتير الصحفي لزعيم البلاد من حديثه ومن الحدث لربما لم يكن على علم بتفاصيله وهو كغيره آخر من يعلم، طلب منه المزيد من التفاصيل أحاله الى حماة الأمن مؤكداً على موقفه بضرورة إطلاق سراح رئيس التحرير فوراً والا فإنه سيضطر الى كتابة بيان شديد اللهجة وينشره في عدد الغد، قال الدوري:

– بكل تأكيد الزعيم لا يعرف بالموضوع!

سكت السكرتير الصحفي عندما لم يسمع مزيداً من صاحب الشأن، ثم أردف:

– أرجوك لا تقدم على أي عمل قبل ان اتصل بك.

طالت مدة الانتظار ثلاثة أيام عصفت بما تبقى من أمل إطلاق سراح أخيه سامي، كانت جرائد (الشرق) و(العهد الجديد) و(الفجر الجديد) قد نشرت مانشيتا وعناوين بارزة قالت فيها بأن قوى الأمن تمكنت من كبس دار البلاد والعثور على أسلحة ومتفجرات، كما تحدث تلك الصحف والتحقت بها جريدة (بغداد) لصاحبها خضر العباسي، أصحاب جريدة (البلاد) بنشر مقال يهاجمون فيه الملا مصطفى البارزاني و(عصابات التمرد في الشمال)، وعندما لم يرضخ أصحاب الجريدة للتهديد والابتزاز أطلقوا سراح سامي وأطلق هو بدوره سراح الجريدة وصدرت ثانية تعتذر للقراء عن هذا الخطأ الفني.

تعقدت الأمور أكثر نتيجة تخبط نظام الحكم في محاولة يائسة لمعالجة تدهور العلاقات بين قاسم والقوى الديمقراطية، وبدأت القوى المعارضة تضغط باتجاه مد جسور التعاون من جديد مع قاسم.

لقد بدأت بوادر المؤامرة الرجعية تلوح في سماء الوضع السياسي الداخلي وبدأت عناصر الردة بالتحرك العلني لتقريب نهاية الحكم وفق تكتيك مبرمج واستغلال بشع للاقتتال الجاري في ربوع كردستان.

كما حاولت القوى الرجعية المحلية عزل كل القوى والعناصر الوطنية الشريفة عن قائد الثورة ليتسنى لها بعد هذا توجيه ضربة مباغتة له وقلب نظام الحكم وإعادة العراق الى حظيرة الاستعمار. لعبت مديرية الامن العامة ومديرية الاستخبارات العسكرية بقيادة العقيد محسن الرفيعي دوراً بارزاً في تلك اللعبة والتآمر من خلال التستر على نشاطات العناصر المشبوهة بكل فصائلها وملاحقة العناصر الوطنية المخلصة سواء في الجيش أو في قطاعات الشعب المتنوعة وزجها في السجون والمعتقلات، كما نجحت الاستخبارات العسكرية في إبعاد الضباط الوطنيين الى وحدات غير فاعلة خارج بغداد وملء الشواغر بعناصر متآمرة لتكون قريبة من الأوضاع.

استدعت مديرية الأمن العامة سامي مرة ثانية بحجة استفسار فطالت غيبته هذه المرة أكثر من أسبوعين أحيل بعدها الى المجلس العرفي العسكري الأول والحكم عليه بالسجن ١٨ شهراً بتهمة إيواء مجرم، عاد كمال من الهند ليتسلم رئاسة تحرير الجريدة من جديد.

اما هو فقد كان يحز في نفسه ان يرى سامي وراء القضبان في سجن الرمادي. أنها عقدة الذنب التي بدأ يشعر بها قبل وبعد كل زيارة للسجن، ترى ما ذنب سامي في موضوع لا ناقة له به ولا جمل، فسامي يسأله في كل لقاء:

– هل هناك أمل في إطلاق سراحي؟

– اعتقد.. فالجماعة يتوسطون.

تدمع عينا سامي ويبكي بحرقة وألم. وفي طريق عودته من الرمادي يستعرض من جديد الشريط السينمائي لما حدث لأخيه ويشعر باعتزاز لأن سامي تصرف بحكمة وشجاعة، لقد كانت التهمة الموجهة الى رئيس التحرير هي إيواء مجرم، والمجرم المزعوم هو نصير النهر المحرر الشاب في جريدة (البلاد) سأل المحامي جميل دنو في المحكمة التي استغرقت عشر دقائق:

– ما هي أدوات الجريمة؟

– أنها في ملفات الأمن العامة.

– وما دخل (البلاد) بالملفات؟

– الا تفهم.. إيواء مجرم.

سكت.. ان نصير النهر يجلس في تلك اللحظات في مكانه في الجريدة يحرر ويكتب باسمه الصريح كل يوم، لكنهم يؤكدون ان نصيراً (مجرم).

×××

في السجن رقم (١) بعد انقلاب شباط الفاشي اعترف له أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام الذي شاهده في القاطع الأول وأراد ان يبرئ ذمته من "الجريمة" التي ارتكبها ضد أصحاب جريدة (البلاد) ما دام الأمر قد وصل الى ان يضم السجن كل ضحايا حكم البعث. قالت رسالة العبدي الذي ينقلها الضابط البعثي الشريف:

"عندما لم يستجب أصحاب الجريدة الى طلب الزعيم قاسم على لسان صحفه الصفر بالتهجم على الملا مصطفى البارزاني واستنكار "تمرده" في أيلول ١٩٦١ طلب مني قاسم ان اتخذ الإجراءات بحق الجريدة، اتصلت بالسيد مدير الأمن العام عبد المجيد جليل وقلت له بالحرف الواحد: أدب أصحاب البلاد.. لم أكن أتوقع ان يكون التأديب بخلق مؤامرة مزعومة ضد النظام من قبل أصحاب الجريدة وذلك بزرع سكاكين وقامات مرسوم عليها حمامات السلام وزرنيخ على صورة نشارة الطابوق.

فكانت تلك المسرحية مهزلة بحق عندما صدر الحكم بسجن رئيس التحرير سنة ونصفاً وتعرت سياستنا الاعتباطية وأظهرت ضعفنا وتخبطنا في أمور خرجت من أيدينا وكانت من أسباب انهيار الثورة على أيدي عناصر عششت في جهاز الدولة وحدث ما حدث.

شكر الضابط البعثي الشريف على نقل رسالة الحاكم العسكري العام الشفوية وأبلغه ان يشكر بدوره اللواء العبدي فالحق كان واضحاً بالنسبة للناس ولكل من عرف بتلك القصة المأساوية لرئيس التحرير، وبرغم تلك المهزلة واصل أصحاب (البلاد) أداء رسالتهم في الكلمة والوجدان.

في يوم جديد تناسى ما حدث له بالأمس على يد زمر التعذيب، فالسجن واحد في العهد الملكي، في عهد ثورة تموز وفي حكم الانقلاب الأسود، انه السجن وان اختلفت هوية السجانين والضحية واحدة، دعاة ومبشرو الحرية وحماة حقوق الإنسان.

عن كتاب الوجدان

العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

مصطفى البارزاني
مناضل و قضية

في ١٤ آذار من كل عام تمر ذكرى ميلاد البارزاني الخالد. و لا يسعنا المقام هنا للإلمام بكل جوانب نضال مصطفى البارزاني عبر مقال أو بحث. فهو و نضاله و قضيته أكبر من ذلك بكثير. و جدير بأن تؤلف حول ذلك الكتب و البحوث الكثيرة. سيما اذا أخذنا بعين الإعتبار الفترة الزمنية الطويلة لنضاله الدؤوب. و الوضع السياسي الذي كان يخيم على العالم جراء الحرب الباردة آنذاك و مفرزاتها. و الوضع الإقليمي المعادي لطموحات الشعب الكردي و ثورات البارزاني. ناهيكم عن الأوضاع الذاتية للشعب الكردي و المؤامرات التي كانت تحاك ضده.

جمعة الداود

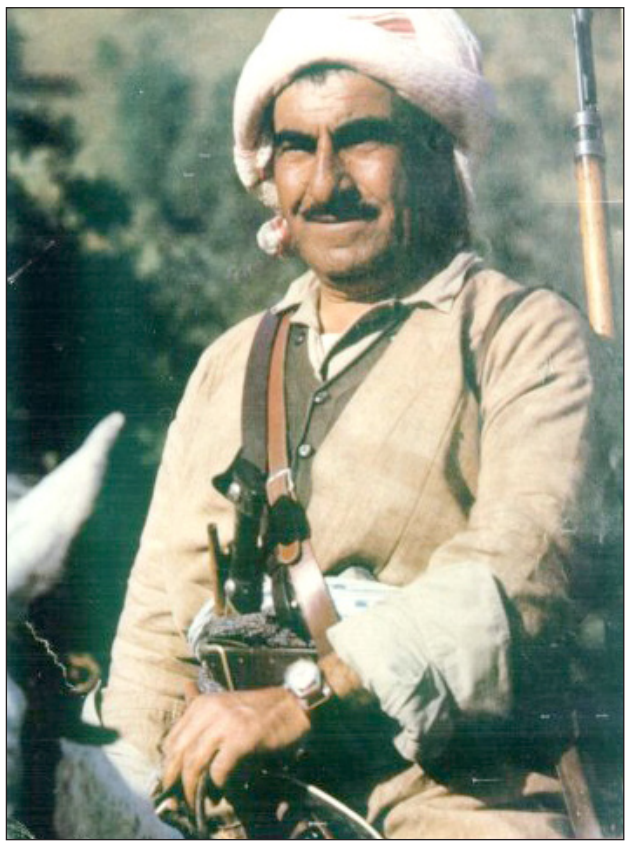

إلا أننا إخلاصاً له و إحياءً لذكراه العطرة، و تصميماً على الاقتداء به و السير قدماً في الطريق الذي رسمه لشعبه خدمةً للكورديتي، سنتطرق إلى بعض الخصائص و الملامح الرئيسية لشخصية البارزاني و الظروف العامة التي مر بها نضاله. تذكيراً للأجيال الكردية. ووفاءً لهذا المناضل الذي كرس جل حياته في الكفاح من أجل عزة و مجد شعبه. مناضلاً في قضية تعتبر من أعقد قضايا العصر و بكل المقاييس. إنه، بحق، يعتبر من أبرز قادة الحركة القومية الكردية التحررية المعاصرة. و قد ارتبط اسمه بشكل مباشر بقضية الشعب الكردي و العكس صحيح.

لقد كان البارزاني قائداً محنكاً. عركته التجارب. و مناضلاً صلباً خبرته الشدائد و المحن. و كان لا يعرف المساومة حتى في أحلك الظروف و أصعبها خلال كل مسيرته النضالية. فغدا رمزاً نضالياً مخضرماً لشعبه الكردي.

أما القضية. فهي قضية الشعب الكردي. المقسمة بلاده بين أربع دول متجاورة. و الذي يعاني التجزئة السياسية و أفظع أنواع الإضطهاد و الظلم و الفقر و الحرمان و التخلف في أجزائه الأربعة بشكل متساو. و محروم من حقوقه القومية و الإنسانية كافة.

لقد و لد البارزاني في ١٤ آذار ١٩٠٣ وسط ظلم مركب كان يعانيه الشعب الكردي. حتى و كأنه ولد ليكن ضد هذا الظلم. ولكن للأسف الشديد. لقد جاءت ولادته متأخرة في الأقل بـ ٢٥ عاماً. وهذا لسوء حظ الشعب الكردي.١

فهو عند دخوله معترك السياسة في ثورته الأولى عام ١٩٣١ كان كل شيء بالنسبة للشعب الكردي قد انتهى قبيل ذلك بسنوات أي في العشرينيات من ذلك القرن. و كان قد قرر الآخرون مصير الشعب الكردي. و ما زلنا نعيش و نعاني ذلك الواقع المأساوي حتى الآن.

و حسبما أعتقد يمكن تقسيم نضال الشعب الكردي إلى قسمين بظهور البارزاني على مسرح الأحداث في القرن العشرين و هي فترة ما قبل ظهور البارزاني و الفترة البارزانية. و عليه فان المصائب و الكوارث التاريخية التي لحقت بالشعب الكردي كلها تعود إلى فترة ما قبل ظهور البارزاني، و في مقدمتها كارثة تقسيم كردستان.

لقد ترعرع البارزاني في أجواء الرفض لهذا الواقع المأساوي. وثار عليه. و إن المتتبع لسيرته النضالية يعلم جيداً أنه حاول جاهداً تغيير هذا الواقع الذي كان يعيشه الشعب الكردي بشكل عام و بقي ساخطاً على هذا الواقع و رافضاً له حتى آخر أيام حياته.

لقد مارس البارزاني عمله السياسي و العسكري في ظل ظروف دولية و اقليمية و ذاتية صعبة للغاية ٢ مما اضطره إلى تغيير مواقفه النضالية و من ثم قاد المسيرة التاريخية بين ثلاث دول معادية للوصول إلى الإتحاد السوفيتي السابق كلاجئ سياسي و البقاء هناك ١١ سنة حتى قيام ثورة ١٤/تموز/١٩٥٨ في العراق.

إن البارزاني عمل جاهداً حتى صنع من التشتت الكردي الوحدة التنظيمية و تجلى ذلك في الحزب الديمقراطي الكردستاني إيماناً منه بأهمية الأطر التنظيمية للعمل السياسي. و خلق القوة من الضعف و من أهم مظاهرها قوة (البيشمركة) الأبطال. و استطاع بهم أن يستنبط الأمل من اليأس الذي كان يعيشه الشعب الكردي و ذلك بإجبار الحكومة العراقية على توقيع اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ و التي تعتبر بحق انتصاراً تاريخياً للشعب الكردي.

إن فترة نضال البارزاني منذ ثورة ١٩٣١ و حتى اتفاقية الجزائر الخيانية في آذار ١٩٧٥ جديرة بأن تدون بحروف من ذهب للأجيال القادمة، و ذلك لأهميتها التاريخية و القومية و السياسية و النضالية. ولا يستطيع أي باحث موضوعي إنكار ذلك سوى قلة من الناس ينكرون عليه كل هذا النضال الذي استمر زهاء خمسين عاماً. هؤلاء الناس (القلة) ينكرون أبوة البارزاني الخالد للمناضلين الكرد٣. و كذلك ينكرون عليه تراثه النضالي لغايات باتت معروفة. و هم مرغمون الآن على مراجعة كل حساباتهم بهذا الصدد و إيجاد المبررات لسلوكهم المشين ذاك.

إن مسلسل الأحداث في الشرق الأوسط عموماً و في العراق خصوصاً و منذ الربع الأخير من القرن الماضي، إنما هو من مفرزات السياسة التي كانت تعادي البارزاني و الشعب الكردي و التي كانت بدايتها في اتفاقية الجزائر المشؤومة آذار ١٩٧٥ والتي أفضت إلى كارثة بالنسبة للشعب الكردي، و وضعت حداً مؤقتاً لثورة أيلول المجيدة ١٩٦١. فهذه الاتفاقية كانت السبب المباشر للحرب العراقية – الايرانية (١٩٨٠–١٩٨٨) و نتيجة لهذه الحرب كان احتلال الكويت (١٩٩٠) و تلتها حرب الخليج الثانية (١٩٩١) و ما نتج عنها من حصار على العراق و محاولة نزع أسلحة الدمار الشامل منه... الخ.

تلك المؤامرة التي رسمت خيوطها في الجزائر آذار ١٩٧٥ ضد إرادة الشعب الكردي و التي شارك فيها كل من الرئيس هواري بومدين و شاه ايران و صدام حسين و بمباركة أميركية. و بعد أربع سنوات "و في الأول من آذار ١٩٧٩ توفي البارزاني في مستشفى جورج تاون في واشنطن، من جراء سركان الرئة الذي فتك به و لم يخفف من وطأة منفاه الأميركي و مرارته سوى سوء مصير جميع السياسيين و الرؤساء الأقوياء الذين أسهموا في إذلاله و خيانته في الجزائر، في شهر آذار من العام ١٩٧٥. فقبل ستة أسابيع فقط من وفاة ملا مصطفى، أطاحت الثورة الإسلامية في ايران بالشاه محمد رضا بهلوي، و أرغمته على سلوك طريق المنفى. و في العام ١٩٧٤ أرغم الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون على الإستقالة، أثر فضيحة (ووترغيت) في حين فقد وزير خارجيته سيئ الصيت هنري كيسنجر منصبه بعد هزيمة الرئيس جيرالد فورد في انتخابات العام ١٩٧٦. أما الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي أسهم في خيانة الأكراد، فقد توفي بطريقة مؤلمة و بطيئة في شهر كانون الأول من العام ١٩٧٨"٤. أما صدام حسين و الذي تأخرت محاسبته ربما لحكمة سماوية للإمعان في إذلاله أكثر. فهو في وضع لا يحسد عليه منذ ذلك التاريخ. و قد بدأ العد التنازلي له قبل أيام، و أصبح من السهل، بل السهل جداً، التكهن ببؤس مصيره و مصير نظامه.

انها تجربة بليغة في التعاطي مع الشأن الكردي من خلال نظرة قومية إستعلائية ضيقة. نرجو أن يستفيد منها أولئك الذين مازالت بلادهم تعاني هذه المشكلة (الكردية) و لا يجرؤون عل فتح الملف الكردي في بلدانهم بواقعية و رجولة، و يصرون على البقاء خارج التاريخ ظناً منهم بأن ذلك هو الأفضل لحكمهم، و لا يعلمون بأنهم يضيفون مشكلة أخرى إلى جملة المشاكل المزمنة التي تعاني منها بلادهم من النواحي الإقتصادية و الإجتماعية. بل تزيدهم تعقيداً. و هم بذلك مطمئنون بأن الأمور تبقى دائماً ضمن تحليلاتهم و توقعاتهم، وغاب عن ذهنهم بأن الرياح تسير أحياناً بما لا تشتهي السفن، كما هو الحال في العراق الآن. أما كان من الأفضل لصدام الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي، و تجنب كل تلك المصائب و الويلات للشعب العراقي بعربه و أكراده. و أخيراً لنظامه و لنفسه؟

إن مصير الشرق الأوسط الآن على كف عفريت. ولا أحد يستطيع التكهن بما ستؤول إليه الأمور. و تبقى المنطقة حبلى بالتوترات و الأزمات. و يبقى الأمن و السلم في منطقة الشرق الأوسط و العالم في حالة تأرجح. مهددة بالانفجار في أي وقت ما لم يبحث في حل القضية الكردية حلاً عادلاً في الأجزاء الأربعة. و يتحمل مسؤولية بقاء القضية الكردية بدون حل و تبعاتها كل الأسرة الدولية و على رأسها منظمة الأمم المتحدة، و الدول صاحبة القرار و المصلحة في الأمن و السلم العالميين، و مسؤولو الدول المعنية بالأمر.

الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني
١. بعد نظره

لقد كان البارزاني يعلم منذ الأيام الأولى لحمله السلاح و إعلان الثورة دفاعاً عن حقوق الشعب الكردي بأن القوى الكبرى هي التي تقرر مصير الأحداث إلى حد ما. و انطلاقاً من هذه القناعة كان يهدف إلى جلب أنظار العالم و عطفه على قضية شعبه العادلة، و كان يقول: "لقد تحمل الشعب كثيراً من المشاق و المآسي و ليس هناك من يقف إلى جانبنا و يساعدنا في محنتنا."٥ و كان يأمل في تدخل هيئة الأمم المتحدة: "نرجو مساعدتنا على إيصال شكوانا إلى منظمة الأمم المتحدة و استنكارنا لسياسة القمع التي تمارسها بحق الشعب الكردي أربع حكومات هي تركيا، ايران، العراق و سوريا لتمزيق القناع عن وجوه هذه الحكومات و نظهر للعالم أجمع مأساة شعبنا الكردي التي لا تعادلها مأساة و لا يتحملها أي شعب..."٦

و كان البارزاني يعتقد جازماً بأنه من الصعب إحراز أي تقدم بمعزل عن الولايات المتحدة الأميركية أو الإتحاد السوفيتي السابق. و كان يقول: "إني أسأل العون من كل إنسان يؤمن بالعدل."

لقد كان البارزاني ضد القتال و سفك الدماء، و ميالاً إلى التسامح و السلام. لذا كان يستجيب إلى أية بادرة تفصح عن رغبة الحكومات العراقية المتعاقبة في ايقاف إطلاق النار، و العمل من أجل السلام و المصالحة الوطنية. و قد شهد له بهذه الصفة سكرتير مجلس السلم العالمي روميش جاندرا عندما صرح قائلاً:

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

"أتمنى أن ألتقي البارزاني و أصافحه. لأنه نصير للسلم في العالم."

و مع إحترامه لرغبة الحكومات العراقية المتعاقبة في التفاوض لحل القضية الكردية فإنه كان لا يثق بها و لا يركن إلى وعودها لأنها لم تكن في رأيه إلا حكومات ديكتاتورية و عاجزة عن إيجاد حل للقضية الكردية. و كان يؤمن بأن الحقوق القومية الكردية و توحيد العراق لن يتحقق إلا بعد مجيء حكومة ديمقراطية. لذلك جعل شعار الثورة الكردية منذ إندلاعها "الديمقراطية للعراق و الحكم الذاتي لكردستان العراق".

٢. الوضوح في الأهداف

بخلاف بعض السياسيين الذين يرفعون شعارات متطرفة لغايات مؤقتة، فإن البارزاني لم يرفع أي شعار متطرف و لم يتقدم في يوم من الأيام بمطالب تعجيزية لأن حب البارزاني لشعبه و منع تعرضه للمزيد من الآلام و الويلات، و الواقعية التي إمتاز بها كان وراء كل ذلك، بل ظل واضحاً في طرح أهدافه و كان أسبق من خصومه في استيعاب الحقائق و روح العصر و الظروف الداخلية و الاقليمية و الدولية. و كان دائماً يؤكد أن الكرد حملوا السلاح من أجل حياة أفضل، و من أقواله بهذا الصدد: "نحن شعب جائع عار... لا صناعة عندنا و لا أي شيء. إننا فقراء نعيش فوق منطقة مليئة بالخيرات." و أن "هدفي هو الأخذ بيد شعبي إلى عيشة مستقرة آمنة." "نحن لا نريد الاستقلال. كل ما نريده هو المساواة في الحقوق و الواجبات، إن التخوف من أننا نريد الإنفصال عن العراق غير صحيح. نحن لا نريد سوى إعمار كردستان، و التنمية هي الطريق لإعادة الأخوة بين الأكراد و العرب." و "نحن نقاتل في سبيل الحكم الذاتي و معروف للعالم أجمع أن كل الشعوب لها حقوق. و نحن أيضاً لنا حقوقنا كغيرنا من شعوب الأرض." ٨

٣. قائد متواضع

لقد وصفه كمال جنبلاط بأنه "مهذب جداً و متواضع، و له شخصية قوية جداً. عنده صفات قادة الجيوش العصريين. و جميع من حوله يكنون له الاحترام." ٩

اضافة إلى ذلك فإنه كان ذا هيبة و وقار عظيمين. يميل إلى الجد في العمل، و الحكمة في التعامل مع ثقة عالية بالنفس. و قيل عنه كذلك بأنه رجل صارم الهيئة، صلب العود، و قائد لا تفارقه كرامته و رصانته في كل الظروف، و يملك ذهنية سياسية متطورة جداً.

لقد بلغ تواضع البارزاني حداً أنه كان يرفض أن يصفق له أو أن يحاط بهالة من القدسية و خلع الأوصاف و الألقاب الأسطورية عليه كأن يخاطب بلقب (جنرال) أو (زعيم)، و لكنه كان يقول: "أنا لست جنرالاً. أنا مصطفى لا غير..." و "أنا لست إلا فرداً من الشعب الكردي." و كان يقول أيضاً: "أنا خادم الكرد و ابن الكرد."

و اعترافاً منه بأنه لم يضع النواة الأولى للحركة الكردية و تطورها. و أنه لم يبدأ من الصفر بل تسلم راية النضال من الذين سبقوه من ثوار شعبه. كان يشيد و في كل مناسبة بنضال قادة الكرد التاريخيين الذين سبقوه مثل الشيخ عبدالسلام البارزاني (أعدم سنة ١٩١٤) و الشيخ سعيد بيران (أعدم سنة ١٩٢٥) و الشيخ محمود الحفيد (توفي سنة ١٩٥٦) و اسماعيل أغا الشكاكي (قتل سنة ١٩٣٠) و القاضي محمد (أعدم في آذار ١٩٤٧) و سواهم من القادة و العناصر التي قادت أو شاركت بشكل فعال في الحركات و الإنتفاضات و الثورات التي شهدتها كردستان في القرنين التاسع عشر و العشرين.

أما بساطته في المأكل و الملبس، فقد شهد له كل من لازمه أو قابله بأنه كان يرتدي ثياباً لا تمتاز بشيء عن سائر البيشمركه (الفدائيون) و أنه كان يصر على أن يأكل مع رجاله أو في الأقل أن يأكل مما يأكلون و لا يخص نفسه و لا الذين حوله بالأطايب، بل أن الطعام الذي كان يقدم في مقره قد يكون "أسوأ من طعام أية قرية كردية"، على حد قول شميدت.١١

٤. حبه المعرفة و التعلم

كان البارزاني يرى في التاريخ و دراسته شرطاً مهما لرفع الوعي القومي، و قوة دافعة للأمة، و حافزاً لنهضتها١١. و كان يحمل رغبة صادقة في التعلم و حب المعرفة إذا توافرت له فسحة من الوقت. فقد كان بوده الإطلاع على مختلف الثقافات و قراءة شتى المواضيع. و للدلالة على ذلك عندما كان البارزاني منفياً و تحت الإقامة الجبرية مع أفراد اسرته في مدينة الموصل خلال المدة (١٩٣٤–١٩٣٦) فإنه استغل تلك الفترة للدراسة. فانتظم في صفوف طلاب العلوم الدينية الذين كانوا يدرسون في جامع عبدالله نشأت بك. فتلقى دروساً في الفقه الإسلامي و دروساً في تعلم اللغة الفارسية و آدابها و دروساً في اللغة العربية أيضاً.١٢

و ليس أدل على حب البارزاني للمعرفة و التعلم إلا جلوسه و هو في الخامسة و الأربعين من العمر على مقعد الدراسة عندما كان لاجئاً في الإتحاد السوفيتي (١٩٤٧–١٩٥٨) و حثه الذين كانوا معه على التعلم و الطلب من السوفيت أن يفسحوا له مجال التعلم و دراسة كل ما يفيد المجتمع من العلوم الحديثة. و لم ينقطع البارزاني عن الدراسة رغم انشغاله بأمور رفاقه و اتصالاته الداخلية و الخارجية، و بقي يلازم مقعد الدراسة حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق.١٣

٥. كرهه الثروة و المناصب

عرف البارزاني بزهده في الحياة، و عزوفه عن جمع الأموال. و كان يرى أن الركض وراء جمع الثروة و الرغبة في اكتناز المال تمتصان كل ما في الساعين إليها من الصفات الحميدة و الطيبة. لذا كان لا يقرّب إليه الأشخاص من ذوي الميول (الخسيسة) حتى و إن التحقوا بالثورة.١٤

و يذكر أحد أبرز الذين تفاوضوا معه في مطلع سنة ١٩٦٤ أنه عندما قدم للبارزاني مبلغ (٣٠) الف دينار بعد اتفاقية وقف إطلاق النار في ١٠ شباط ١٩٦٤ أخذ البارزاني ذلك المبلغ و وضعه أمامه و قام في الوقت نفسه بتوزيعه على المحتاجين من مقاتليه. و أضاف ذلك المفاوض قائلاً: لقد أذهلني تصرف البارزاني ذاك و لم أعد أتمالك نفسي فقلت "لماذا فعلت هذا يا أبا لقمان؟ ان المبلغ جلب خصيصاً لشخصكم". فكان جوابه: لقد حاولت، و ما أزال أحاول، ابعاد الثورة و مقاتليها عن المال. لأن لا شيء يفسد المقاتلين و قادة الثورات مثل المال. "ابعدوه فانه يفسد الثورة." و قرأ لي هذا البيت من الشعر و الذي ما زال عالقاً في ذاكرتي١٥:

أيها المال لست رباً معبوداً

و لكنك قاضي الحاجات و ستار العيوب.

أن البارزاني لم يسع قط إلى البحث عن المال لنفسه و إنه لم يترك بعد رحيله أية أملاك منقولة أو غير منقولة. و إنه كان مؤمناً بما يقوله دائماً و في كل مناسبة: "يجب أن تعلموا أن التاريخ لم يتحدث و لن يتحدث في أي مرحلة و زمان عن الذين عاشوا حياة مترفة و ملكوا الثروة و السيارات و القصور. إلا أنه يتحدث و يحترم الذين دافعوا و ناضلوا و ذاقوا المرارة و العذاب من أجل أوطانهم و حقوق شعوبهم المشروعة. يا أخوتي إن أموال الدنيا لا تستحق أن نفرط بسببها بشرفنا القومي و الوطني... انظروا إلى (مليونيري) الكرد من أصحاب الثراء الفاحش الذين لم يقدموا يد العون لثورة شعبهم، انظروا اليهم كم هم منبوذون و قذرون في أعين الجميع. الثروة لا تجلب الشرف و إذا لم تنفق في سبيل الشعب تصبح مصدراً للخزي و العار..."١٦

إن البارزاني و كما هو معلوم لم يطمح في حياته في أي منصب من المناصب الرفيعة التي عرضت عليه مراراً و لم يدع أحد أولاده أن يتولى منصباً مهماً كذلك.

٦. قوة الشخصية لدى البارزاني

إن قوة الشخصية تظهر في تطابق الأفعال و الأقوال و السلوك مع الأهداف التي يسعى المرء إلى بلوغها. و هذا ما تجلّى في البارزاني الخالد طوال نضاله الذي امتد نصف قرن من الزمن. و في كل المراحل التي مر بها. لقد كان صادقاً مع نفسه و مع شعبه و مع الآخرين. و هذا لعمري من الأمور الصعبة التي لا يستطيع إلا عظماء الرجال أن يحققوها.

كان البارزاني حريصاً على عدم إراقة الدماء الكردية و إن كانوا من الشاهرين بوجهه السلاح، و سجله حافل بالأمثلة الكثيرة على ذلك. و كان لا يستخدم القوة و القسوة إلا في سبيل توطيد الحق و العدالة و رفع الظلم عن كاهل المواطنين عرباً و أكراداً و أقليات أخرى. و كثيراً ما كان المواطنون الساكنون في ظل السلطة المركزية يلجأون إلى تلك المحاكم و اللجان التي كان يديرها في ظل ثورة أيلول المجيدة قضاة مختصون لحسم دعاواهم فيها ايمانا منهم بعدالتها و نزاهتها.١٧

و من مظاهر قوة الشخصية لدى البارزاني أنه كان يتواجد في الخطوط الأمامية للمعركة حين اشتداد القتال. و منها أيضاً أنه لم يزر خصومه من حكام بغداد للتفاوض قط. بل أن المسؤولين، و من الحكومات العراقية المتعاقبة، نزلوا عند إرادة الثورة الكردية و هيبتها و مكانتها. فقاموا بزيارات إلى البارزاني في داخل الأراضي المحررة و الجلوس على طاولة المفاوضات. و عندما كان البارزاني يغضب – و نادراً ما كان يحدث ذلك – أو يشعر أن مفاوضاً حكومياً يريد استفزازه و ذلك بالتقليل من شأن قضية الشعب الكردي كان البارزاني يواجه المفاوض الحكومي قائلاً و بحدة: "نحن لا نستجدي حقوقنا." و يلتفت إلى المفاوض الذي يريد استفزازه أو يقاطعه بدون أذن، بعد أن يضع يده على قبضة خنجره قائلاً له: "لولا حرمة هذا الوفد لقطعت لسانك."١٨

هذا ما قاله البارزاني لوزير الثقافة و الإرشاد (الاعلام) العراقي عبدالله سلوم السامرائي في مفاوضات سنة ١٩٦٨.

لقد وصفه Adgar Obllance بأنه كان "رجلاً يتخذ القرارات بكل حكمة، إنه داهية و مخطط حربي جيد يتبع أساليب متنوعة، و واثق من نفسه".١٩

أما شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري فيذكر أسمه باحترام بالغ في مذكراته قائلاً: "السيد البارزاني العظيم." و قد خلده في أروع تصوير في أبيات من شعره قائلاً:

عملاق جنٍ في الحروب، و دعلج
في السلم يحمي الجلد بالنشاب
وسط الجبال كأن صم صخوره
من بعض ما استصفى من الحجاب
مستشرفاً كبد السماء جبينه
للنيرات، و رجله في "الزاب"٢٠

٧. الجوانب الانسانية لشخصية البارزاني

في الكونفراس المشترك لمسؤولي الحزب و قادة (البيشمركه) الذي عقد في ١٥ نيسان ١٩٦٧ قال البارزاني في حق شعبه ما يلي: "أفتخر بأبناء شعبنا الذين تحملوا الصعاب و الآلام الجسام خلال هذه الفترة الطويلة من اندلاع ثورتنا... الذين تحملوا الحر و البرد و الاعتقال و الموت و التعذيب. تلك الرجولة و الصمود و الشجاعة مفخرة لنا جميعاً و موضع اعتزاز لتاريخ شعبنا... ما تم إنجازه حتى الآن يدعو للفخر و السرور و يرفع الهامات. تلك الرجولة و الغيرة و الشجاعة التي أبداها الشعب الكردي، و تلك البطولات المشرفة التي أبداها الكرد في هذه الثورة رغم قلة إمكانياته و كل ذلك الغدر و القهر و الظلم الذي أصابه و هو يقاوم و يدافع عن نفسه، لا نجده في أي مكان و لدى أي شعب إلا في كردستان."٢١

إن إعتزاز البارزاني بأبناء شعبه و إعجابه بهم و تقديره عالياً للتضحيات التي قدموها و الثقة التي منحوه إياها، و تعلقهم به كانت وراء إهتمامه و متابعته لدقائق حياتهم دون تمييز بسبب اختلاف انحداراتهم الطبقية أو الاجتماعية و حتى مواقعهم في الحركة الكردية. ففي حضرته كان يجلس من يلبس الحرير أو من يلبس القطن و يرقع سرواله متشابهين متساوين. ينزعون ألقابهم و نياشينهم قبل الدخول عليه.

و كان على رأس واجباته مقاومة ما يتعرض له أفراد شعبه من الويلات و المعاناة. ربما يتساءل المرء، عند الاطلاع على رسائله و استقراء دقائق حياته: ماذا يهم قائداً كالبارزاني من مثل هذه الهموم. و كيف أن مشاغله الكثيرة إلى الحد الذي لا يسمح له بحديث مطول أو كتابة وقائع حياته في الأقل أن يهتم بمثل هذه المشاكل و الأمور الصغيرة.

في الحقيقة إنه هنا يكمن سر شهرة البارزاني و سر إلتفاف عموم الشعب الكردي حوله و تعلقه به و تأييده إياه و منحه الثقة المطلقة، و تمتعه بأعظم الحب في كردستان. إن كل هذا جعل منه ليس زعيماً من أبرز زعماء شعبه فقط بل ظاهرة تاريخية تستحق الدراسة بعمق للاستفادة مما جسده من تجارب غنية بايجابياتها الكثيرة.

في رسائله البالغة ٣٦ رسالة نراه يتوسط لتزويد طالب بوثيقة نقل من مدرسة إلى أخرى، و يطلب في رسالة أخرى تخصيص مبلغ من المال لتأثيث ناد للموظفين، و تنظيم عدم تعرض لشخص يريد السفر إلى البصرة، و يتوسط في رسالة أخرى لتعيين شخص كفراش أو حارس، و يطلب في الأخرى الاهتمام بصحة امرأة مريضة و أخرى فقدت رجلها بسبب تعرضها للقصف الجوي. و لم ينس البارزاني في رسائله القابعين في السجون بسبب المشاركة في الثورة الكردية. و في بعضها الآخر يهتم بشؤون الفلاحين و إعادة المرحلين منهم إلى قراهم، و لا ينسى العمال المفصولين من أعمالهم لأسباب سياسية.٢٢

إن الصفات التي تحلى بها البارزاني كانت ذات تركيب استثنائي " فهو استثنائي العدالة، و الشجاعة، و الحكمة، و الصبر؛ استثنائي النظرة إلى بواطن الأمور و تحليل ظواهرها و استقراء الماضي و استشراف المستقبل... استثنائي في قناعته الراسخة من أن الحياة هي موقف"٢٣. فهو إذاً، يستحق و بجدارة أن يمثل دالة التقوى السياسية لدى الأكراد.٢٤

فسلام عليك يوم ولدت... و يوم تبعث حياً.

×××××

الهوامش:

١. من محاضرة للكاتب بعنوان "الأكراد في القرن العشرين" ألقيت في Hannover بتاريخ ١٩٩٨/٨/٢١.

٢. نصف الدول المستعمرة لكردستان كانت مع المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية مثل تركيا و ايران، و النصف الآخر كانت مع المعسكر الشرقي بقيادة الإتحاد السوفيتي مثل سوريا و العراق.

٣ . من منطلق أبوة البارزاني للمناضلين الكرد فان الأخ مسعود البارزاني يتقبل لفظة (كاك) – الأخ برحابة صدر.

٤ . أمة في شقاق. جوناثان راندل، دروب كردستان كما سلكتها. ترجمة فادي حمود. دار النهار. بيروت ١٩٩٧.

٥–١٧ الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني القيادية و الانسانية. د. عبدالفتاح علي بوطاني. دهوك. مطبعة خه بات. ١٩٩٦.

١٨ جريدة خبات العدد ٩٦٦ تاريخ ٢٠٠٠/٣/٣.

١٩–٢٣ الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني القيادية و الانسانية. د. عبدالفتاح علي بوطاني. دهوك. مطبعة خه بات. ١٩٩٦.

٢٤ البارزانية ما بين التحديث و دالة التقوى – هيبت بافي حلبجة

ملف تذكاري عن الراحل نشر في موقع كلكامش

> **أما بساطته في المأكل و الملبس، فقد شهد له كل من لازمه أو قابله بأنه كان يرتدي ثياباً لا تمتاز بشيء عن سائر البيشمركه (الفدائيون) و أنه كان يصر على أن يأكل مع رجاله أو في الأقل أن يأكل مما يأكلون و لا يخص نفسه و لا الذين حوله بالأطايب، بل أن الطعام الذي كان يقدم في مقره قد يكون "أسوأ من طعام أية قرية كردية"، على حد قول شميدت.**

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

ذكرى للأجيال

سيامند البنا

في أوائل الخمسينيات نشأ الجيل الذي أنتمي اليه على القصص التي كانوا يحكونها همساً، وهي تصور مآثر أعظم بطل من أبطالنا فقد رد ومعه مجموعة من الناس وبموارد محدودة، رداً شجاعاً على الجيوش العربية والفارسية والتركية وهو يدافع عن شعبه ويحميه منها، ومن ثم قاد ٥٠٠ شخص في مسيرة ملحمية.

وهو يخوض معركة اثر معركة من التي لم تكن متكافئة ويقاتل ضد جيوش نظامية كبيرة، كي يصل الى بر الأمان في الاتحاد السوفياتي وبعد ان فقد عدداً من مقاتليه في تلك المعركة تمكن من خرق صفوف الآلاف من الأعداء واستطاع اختراق الحلقة الحديدية، وعاد من روسيا وهو يقود جيشاً بلغ عدده عشرات الآلاف، بل مئة الف كي يثأر من الأعداء الذين دنسوا أرض كردستان ويحررها.

تراكمت الروايات واحدة فوق الأخرى وكل راو يضيف الاحترام وخلجات نفسه الى الاسم الذي صار اسماً أسطورياً، وها قد حل الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ وأصبحت أكثر الأحلام جرأة وحقيقة خلال أسابيع عدة، حيث عاد الجنرال البارزاني بالفرح العظيم والبهجة تلك الأيام الخريفية عندما كانت روح كل كردي تعيش لحظة ترقب سعيدة لعودة إنسان عظيم!.

وعندما حل اليوم السعيد اكتظت شوارع بغداد بالناس الذين كاد عددهم يصل الى نصف مليون، واكتظ شارع الرشيد بالشعب من بدايته وحتى نهايته ورفعت هتافات باللغة العربية (زعيمنا الثاني مصطفى البارزاني) بالطبع كان الزعيم الأول والأوحد العقيد عبد الكريم قاسم لكن اسم الملا لم يكن أقل من اسمه على شفاه كل عراقي عربياً كان أم كردياً، وكانت صوره والرموز المنقوشة عليها تباع في كل مكان وهو في بزة الجنرال العسكري، وفي الزي الكردي أو يرتدي بزة مدنية، وكانت تلك اللحظة من أشد اللحظات رسوخاً في الذاكرة لعصر الحماس الثوري، ولقد أدى شمال صائب الذي كان من أشهر المطربين في تلك المرحلة وبصوته الرخيم تلك الأغنية آلاف المرات وبثتها أجهزة الراديو (البارزاني أسد كردستان البارزاني نجم سمائنا من لم يسمع اسمك يا البارزاني).

أصبح اسم البارزاني في عشرات الكتب والمقالات وباللغات كافة مرادفاً للشجاعة والثبات والمرونة وهو الذي حول مسائله المنسية والتي كادت ان تكون فاقدة الأمل الى قضية حيوية وملحمة، لقد تماهى كلياً مع مأساة شعبه وقضيته أكثر من أي قائد وطني آخر في القرن العشرين، لكن تبين أنه والشعب لا ينفصلان عن بعضهما البعض، لقد كان أعداء الكرد على قناعة راسخة من ان مصرع البارزاني لا يقضي على حركة المقاومة وحدها، بل على القضية الكردية ذاتها، ولم يعترض سبيل قائد آخر مثل هذا العدد الكبير من الاغتيالات والمؤامرات التي تعرضت لها حياته، ففي حزيران عام ١٩٦٣ أعلنت الجريدة اللندنية (تايمز) ان نظام عبد السلام عارف يعرض مكافأة مالية قدرها مليون دولار أمريكي لمن يأتي بالبارزاني حياً أو ميتاً، وفي عام ١٩٨٣ أباد النظام العراقي جميع رجال أسرته الذين كانوا ضمن دائرة سيطرته بما فيهم جميع الأطفال الصغار، وعام ١٩٨٩ وبعد عمليات الانفال عندما قتل النظام العراقي أكثر من ١٨٠ الف من المواطنين الكرد الأبرياء، أعلن ممثل الرئيس العراقي طه ياسين رمضان وهو يقف على أنقاض قرية تم تفجيرها في بارزان قائلاً: الآن عندما قضينا على كل ما هو حي على ارض بارزان علينا التأكد من أننا قتلنا حتى الديدان تحت الأرض.

ومن أعظم انجازاته تحويل المجتمع الكردي من العلاقات العشائرية الإقطاعية الى الحالة الراهنة، وان الاتفاقية السلمية الموقعة بين الكرد والنظام البعثي بتاريخ ١١ آذار ١٩٧٠ كانت انجازاً فريداً من نوعه فقد أرغم القائد الكردي الحكومة العراقية على الاعتراف بالحقوق القومية لشعبه رسمياً وللمرة الأولى، وهذا ما سيغدو بما لاشك قاعدة حقوقية فيما بعد وانطلاقاً منها ستضطر السلطة الى الاعتراف بحقوق الكرد كاملة.

وبرغم ان الهدف النهائي وبلوغ شاطئ الأمان لم يتحقق للشعب، فإن ما قدمه البارزاني من خدمات في الحفاظ على الشعب وإنقاذه من الإبادة وتطوير الوعي الكردي والحركة الوطنية هي كبيرة جداً، وبعد ان قام بعدد من الإجراءات السياسية والعسكرية الجريئة أعطى الكرد الأمل في انه برغم عدم التكافؤ الكبير في القوى لم يتم بعد فقدان كل شيء وبوسع الكرد البقاء بصفتهم أمة.

كان الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي أسسه البارزاني أول حزب سياسي كردي معاصر، فعندما نلقي نظرة ولو على لجنته المركزية نرى انها تكونت من الماركسيين المتشددين والقوميين واثنين من ملاك الأرض الكبار ومن الاشتراكيين، وهذا وحده يظهر مدى نفوذه وسحر شخصيته التي أتاحت المجال لتوحيد أكثر المجموعات والشخصيات تنوعاً تحت شعار القومية، كانت ولادة الحزب الديمقراطي الكردستاني وما يحظى به من تأييد جماهيري واسع حدثاً فريداً لم يتكرر منذ ذلك الحين برغم محاولات التقليد الكثيرة، والانتفاضات التي قادها البارزاني بدءاً من عام ١٩٤٣، لم تكن انتفاضات محلية ولا عشائرية خلافاً للانتفاضات الكردية السابقة، لقد انخرط الضابط والمثقفون وسكان المدن في مختلف أرجاء كردستان في الحركة وانضموا الى الثائرين الى جانب العشائر من مختلف مناطق كردستان ونواحيها، وكانت مسيرته الى مهاباد والخدمة في جيشها أول حدث في التاريخ الكردي حيث يقوم آلاف الناس بتوخي الأهداف القومية العامة برغم كل المصاعب والآلام وبعيداً عن موطنهم الأصلي، انها كانت إشارة رائعة للتضحية في سبيل المثل القومية التي وحدت بين الناس بروابط الدم وبالوضع الحقوقي الحكومي وبددت شكوك الكرد في مصير أمتهم المشترك، لقد هدمت انتفاضة البارزاني الحواجز الطبيعية والعشائرية والدينية المترسخة في كردستان ترسيخاً عميقاً، حيث انها كانت تحظى بدعم العثمانيين والفرس بدءاً من عام ١٥١٤، عندما قام الطرفان بتقسيم كردستان بينهما.

وأصبح ممكناً دمج المقاتلين من مختلف المناطق والعشائر في (ثورة) رائعة وموحدة كانت رومانسية وحلماً شاعرياً والآن صارت حقيقية بفضل جهود البارزاني وارتقت الكوادر السياسية والعسكرية في جميع أجزاء كردستان الى مستوى جديد، والآن تقوم بقيادة مناطق كاملة وإدارتها على ان أكثرية هذه الكوادر لم تكن من أصول نبيلة، بل منها من كان ينحدر من اسر فقيرة، وحلت فكرة الإخلاص للأمة والثورة محل الوفاء للعشيرة وللأغا الاستبدادي، وفي ذلك يعود الفضل الى البارزاني بالذات.

ومن أعظم انجازاته تحويل المجتمع الكردي من العلاقات العشائرية الإقطاعية الى الحالة الراهنة، وان الاتفاقية السلمية الموقعة بين الكرد والنظام البعثي بتاريخ ١١ آذار ١٩٧٠ كانت انجازاً فريداً من نوعه فقد أرغم القائد الكردي الحكومة العراقية على الاعتراف بالحقوق القومية لشعبه رسمياً وللمرة الأولى، وهذا ما سيغدو بما لاشك قاعدة حقوقية فيما بعد وانطلاقاً منها ستضطر السلطة الى الاعتراف بحقوق الكرد كاملة.

ويتعذر علينا ان نعدد ما قام به البارزاني من انجازات ومدى تأثيره الفعلي على حياتنا وبوسع القارئ الكريم وحده الذي يمتلك موهبة كبيرة وطاقة هائلة ان يشرع في تصوير حياة واحد من عظماء القرن العشرين وما قام به من انجازات تصويراً كاملاً، لقد استطاع هذا الإنسان خلال حياته توحيد الكرد جميعاً تحت شعار قومي موحد، تلك المهمة التي بدت مستحيلة فيما مضى، ونحن نفتخر ونبجل أبناء شعبنا الذين قاتلوا تحت قيادة البارزاني، واسمحوا لي في هذا اليوم ان انحني إجلالاً لذكرى قائدنا العظيم مقدراً تراثه تقديراً كبيراً، وان نقطع عهداً في النضال من اجل اتحاد جديد لشعبنا في البحث عن عالم ستكون فيه جميع الشعوب حرة ومتساوية.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

البارزاني والنضال من أجل الحرية

د. سعد الدين ابراهيم×

في منطقة كردستان الجبلية، التي تقع بين شمال العراق، وجنوب تركيا، وغرب إيران، وشرق سوريا. وكان الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا، المنتصرتين في الحرب العالمية الأولى، على كل من الإمبراطورية العثمانية، وألمانيا، والإمبراطورية النمساوية، هو تقسيم واقتسام أقاليم ومستعمرات وتركات المنهزمين. ومن ذلك ما حدث للعرب والأكراد، التي كانت أوطانهم جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، وهو ما يُعرف باتفاق سايكس بيكو، ووعد بلفور، واتفاقية سيفر. ووجد الأكراد وطنهم التاريخي قد تفتت بين أربعة أقطار، يمثلون أقلية سكانية ولغوية في كل منها.

وثار الأكراد علي هذا الوضع الجديد وقتها. ولتهدئة غضبهم وثورتهم أعطاهم الحلفاء المنتصرون وعوداً غامضة بالحكم الذاتي والحفاظ على لغتهم وثقافتهم في الدول الجديدة، التي اقتسمت وطنهم كوردستان (أي أرض الكورد). ولكن الدول الجديدة، كانت نفسها تحت الانتداب أو الهيمنة البريطانية والفرنسية، وحنثت بوعودها. ولذلك رفع الأكراد في البلدان الأربعة (تركيا والعراق وإيران وسوريا) رايات العصيان على سلطات الانتداب وحكومات الأقطار الجديدة.

وقد تراوحت حظوظ الأكراد في النجاح والفشل في نضالاتهم في الأقطار الأربعة. فكان أقصي نجاح لهم في غرب إيران في أربعينيات القرن الماضي، حيث أعلنوا تأسيس جمهورية على طراز الجمهوريات السوفييتية، أطلقوا عليها اسم جمهورية مهاباد. ولكنها لم تعش إلا لمدة ١٤ شهراً، قبل أن تقضي عليها حكومة طهران، بمساعدة بريطانيا. وفي تركيا فما يزال حزب العمال الكوردستاني يقاوم السلطات التركية في عصيان مسلح يتصاعد وينحسر. وفي سوريا تحدث انتفاضات محددة بين الحين والآخر من أجل حقوق المواطنة أو من أجل حقوق ثقافية. أما في العراق فكان حظ الأكراد هو الأفضل نسبياً.

ويرجع ذلك في الأساس الى شجاعة وحنكة الملا مصطفي البرزاني الذي ساهم في النضال الكردي الممتد منذ شبابه في القرن الماضي، وكان من مؤسسي جمهورية مهاباد، وبعد انهيارها لجأ للاتحاد السوفييتي، حيث عاش وأنجب معظم أبنائه، ومنهم مسعود، ولم يعد الى العراق، إلا بعد ثورة يوليو ١٩٥٨. ولكن خلال سنوات قليلة من عودته ثار على حكم عبد الكريم قاسم، ثم على العهود التالية، والتي كان آخرها صدام حسين ونظام البعث، إلي أن وافته المنية. ولكن الملا مصطفي هو نفسه الذي اختار ابنه مسعود، ليخلفه في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، والمقاومة المسلحة، التي أطلق عليها اسم البيشمرجة ، رغم أن له أخوة أكبر. وقد ورث مسعود من والده الحنكة والشجاعة. وحين التقيته أول مرة في دمشق قبل ربع قرن، كان مسعود قد خلص إلى مجموعة من دروس النجاح، وهي قليلة، ودروس الفشل وهي كثيرة. ومن ذلك أن الأكراد في هذا الجيل لا ينبغي أن يطمحوا إلي دولة مستقلة حيث أن الظروف الدولية والإقليمية لا تسمح بذلك.

وأن أقصى ما ينبغي العمل لإنجازه هو الحكم الذاتي للأكراد والديمقراطية لكل العراق. وكان صدام حسين ونظام البعث مستعدين لمنح الحكم الذاتي للأكراد. وفي الواقع تم تعديل الدستور العراقي لينص على ذلك عام ١٩٧٥. ولكن صدام وحزب البعث لم يكونا مستعدين للتسليم بالديمقراطية لكل العراق. ولذلك ظل الصراع محتدماً بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني من ناحية وصدام وحزبه من ناحية اخرى، إلى أن سقط صدام وحزبه.

لقد كان تمسك آل البارزاني وحزبهم بالديمقراطية لكل العراق، طبعاً كما قاله لي مسعود في دمشق عام ١٩٨٢، هو أنه فضلاً عن إيمانهم المبدئي بالديمقراطية، فإنه لا ضمان لحكم ذاتي كوردي في العراق إلا بها. وقد اقتنعت وقتها بوجهة نظر مسعود. وسجلت ذلك في كتاب الملل والنحل والأعراق، وهو ما يعني الصيغة الفيدرالية. وسجلت في نفس الكتاب أن نفس الصيغة هي أيضاً الأفضل للسودان، ولأي بلد عربي (أو غير عربي) تتعدد فيه اللغات والأديان والقوميات. ووقتها ثارت عليّ اعتراضات محمومة، بدعوى أنني أريد تفسيخ الوطن العربي وتفكيك أقطاره. بينما العكس هو الصحيح.

وقد أثبتت تطورات الأحداث في العراق والسودان، أن الفيدرالية هي الحل. ولكنها لا تنجح إلا بالديمقراطية للجميع. وهذا ما أكده مسعود البارزاني مرة اخرى في لقائنا الثاني في أربيل عاصمة إقليم كوردستان. وما زال الرجل حريصاً على الديمقراطية لكل العراق الموحد. فإذا كان لهذا البلد من أمل في استعادة أمنه واستقراره ووحدته وازدهاره، فإن البداية والنموذج هي إقليم كوردستان.

× كاتب ومفكر مصري.

المقال نشر في جريدة الشرق الاوسط تحت عنوان مع مسعود البارزاني وقصة نجاح عراقية ٢٠٠٧

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

رعاية البارزاني
للحياة الحزبية والتحالفات السياسية

كريم أحمد

من المعروف ان بارزان اتحاد طوعي يضم قبائل: (دولمه ري) و (مزوري) و (شيرواني) و(به روزي) و(نزاري) وقبائل صغيرة أخرى، نظمت شؤونها وفق برنامج اجتماعي واقتصادي وعسكري، وكانت تحاول اقناع العشائر الكردية الأخرى للاحتذاء بها لكي تكون قوة اجتماعية واقتصادية وعسكرية قوية الا ان العلاقات العشائرية كانت تسير نحو التفسخ بسبب سيطرة النظام الإقطاعي المتمثل باستحواذ الإقطاعيين الكرد على جميع الأراضي، كما تفسخت العلاقة بين رئيس العشيرة وأبناء العشيرة وبدأ الصراع بين الفلاحين المحرومين من ملكية الأرض وبين الإقطاعيين الذين سيطروا على كل مستلزمات الحياة.

ان النظام الإقطاعي قضى على العلاقات الأبوية بين العشيرة ورئيسها، لذلك لم تنجح محاولات رؤساء البارزانيين لجر العشائر الأخرى التي أخذت العلاقات الإقطاعية تسود فيها لإيجاد علاقات تنظيمية كالتي سادت بين العشائر البارزانية المتحالفة.

لقد سعى الشيخ عبد السلام، ومن بعده الشيخ احمد لإيجاد علاقات تحالفية مع بعض رؤساء العشائر والأغوات وشيوخ الطريقة وبعض رجال الدين فلم يفلحوا لأن هؤلاء لم يكونوا من الناحية الاجتماعية يمثلون القوى القومية الكردية المناضلة من اجل مصالحها الطبقية والشخصية ولم تكونوا مستعدين للتضحية في سبيل أهداف الشعب الكردي الوطنية.

ولو تتبعنا مسيرة نضال البارزاني خلال ثوراته الأولى وفشل تحالفاته مع الإقطاعيين لوجدنا ان هذه الفئات الاجتماعية لم تكن في وضع يمكن الاعتماد عليها في النضال القومي والوطني، لانها لم تكن على استعداد للتضحية بمصالحها أولا ولأنها لم تمتلك القاعدة الجماهيرية وخاصةً في أوساط الفلاحين وكان لمبادرة اتصال حزب هيوا بالبارزاني وتشكيل لجنة الحرية من الضباط والشباب الذين التحقوا بالثورة وإرسال الوفود الى سوريا ومصر ومهاباد أثر إيجابي فعال على البارزاني، حيث ان هذه الخطوات أخرجت الثورة الكردية من نطاقها الضيق، اذ كانت الأوساط الاستعمارية والحكومة العراقية تبث الأراجيف والدعايات للتشكيك بأهداف الثورات التي فجرها وقادها البارزاني وطمس بعدها القومي التحرري ووصفها بأنها تسعى لتحقيق مطالب البارزانيين، لذلك اعتمد بشكل جدي على التنظيمات السياسية الكردستانية وتحالف معها بدل الاعتماد على التحالفات العشائرية الإقطاعية الفاشلة التي ألحقت بثوراته اكبر الأضرار.

إذن فان البارزاني وجد ضالته المنشودة باعتماده على تنظيم سياسي، خاصة بعد التحاقه بالثورة الوطنية الكردستانية الإيرانية في مهاباد وقد ساعده على بلورة مشروع قيام حزب قومي ديمقراطي كردي، حمزة عبد الله والضباط الشهداء الأربعة، مصطفى خوشناو ومحمد قدسي وخير الله عبد الكريم وعزت عبد العزيز والمثقفون الكرد العراقيون الذين كانوا قد التحقوا بجمهورية مهاباد، ومن هناك بلوروا مشروع البرنامج والنظام الداخلي وعرضوه على البارزاني.

وقد كلف البارزاني المناضل الراحل حمزة عبد الله بالتوجه الى كردستان العراق في عام ١٩٤٦ ليقوم بعرض فكرة قيام الحزب الديمقراطي الكردي على الحزب الشيوعي الكردستاني (شورش) وحزب (رزكاري)، الذي كان يقوده الشيوعيون الكرد، أي كان حزباً تابعاً للحزب الشيوعي الكردستاني (شورش) وفي هذه الفترة دبت الخلافات الفكرية في صفوف الحزب الشيوعي الكردستاني وقد أدت هذه الخلافات الى حل الحزب الشيوعي الكردستاني وانتماء أكثرية كوادره وأعضائه الى الحزب الشيوعي العراقي، اما الذين لم يلتحقوا بهم فقد قاموا بتشكيل الحزب الديمقراطي الكردي بعد ان حل حزب (رزكاري) نفسه وانضم أكثرية أعضائه اليه.

وأول مرة ظهرت إمكانية قيام أحزاب كردستانية بعد الحرب العالمية الثانية في جميع الأقاليم الكردستانية، وبعد قيام جمهورية مهاباد خاصة، وقد تركزت مهمة هذه الأحزاب في توحيد قوى الشعب الكردي في كل إقليم وحل المسألة الكردية في إطار الدول التي ضمت اليها أقاليم كردستان.

وبالرغم من قيام الأحزاب السياسية على أساس طبقي عموماً باعتبارها طلائع سياسية لطبقاتها ومرشدها وقائدها، في الصراعات الطبقية التي تجري في المجتمعات الرأسمالية وتتألف من عناصر أكثر وعياً وتقدماً والتزاماً بالمصالح الطبقية، الا أنه في البلدان المتخلفة التي لم يتبلور فيها الصراع الطبقي بين البرجوازية والطبقة العاملة بشكل بارز والتي هي في دور التكوين فأن الأحزاب القومية التي تتكون فيها لا تضم الطبقة البرجوازية الصغيرة، بل الفئات الكادحة من الطبقة العاملة والفقراء والفلاحين والمثقفين التقدميين لان الصراع الأساسي يجري من أجل التحرر الوطني وقيام الدولة الوطنية المستقلة، وهي مهمة أساسية أمام الأحزاب القومية والأحزاب الوطنية الأخرى بما فيها الأحزاب الشيوعية الممثلة للطبقة العاملة الفتية والفلاحين والكادحين عموماً والمثقفين الثوريين.

ان قيام (البارتي) كان ومازال يستهدف إقامة كيان سياسي لكردستان بالشكل الذي ينسجم مع الظروف الداخلية والإقليمية والدولية، وقد مثل البارتي هذا الدور في ثورة أيلول العظيمة ١٩٦١ التي ساهمت واشتركت فيها- وأول مرة- جميع الفئات والطبقات الاجتماعية الكردستانية بقيادة البارزاني، وقد استوعبت الثورة المنظمات والأحزاب السياسية وحتى العراقية، كالحزب الشيوعي العراقي.

وقد رعى البارزاني مبدأ التعددية الحزبية وقيام تعاون وتحالف الأحزاب الكردستانية والعراقية أيضاً ومنذ بداية ثورة أيلول عزز العلاقة مع الحزب الشيوعي العراقي، وفي عام ١٩٦٣ وبعد قيام انقلاب شباط اعتبر البارزاني التعاون والتحالف مع الحزب الشيوعي ركناً أساسياً لانتصار الثورة التي اتسمت بالطابع العراقي، أولاً ولاشتراك الحزب الشيوعي فيها ثانياً ولأن شعارها كان: (الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان) وقد حظيت الثورة بتأييد الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية والمنظمات الديمقراطية والحركة النقابية وحركات التحرر الوطني والأحزاب الشيوعية وبلدان المنظومة الاشتراكية السابقة.

ان التجربة التي نعيشها اليوم هي ثمرة النهج الذي انتهجه البارزاني في رعايته للديمقراطية والتعددية الحزبية وهي ثمرة نضال شعبنا الكردستاني الطويل المليء بالمعاناة والتضحيات والإصرار على المضي قدماً الى الأمام من اجل تحقيق الديمقراطية للعراق والفدرالية لكردستان ويمكنني ان أؤكد ان الاستمرار على هذا النهج الذي صقلته التجارب واكتنفته الإخفاقات، وهو نهج الديمقراطية والتعددية والتعايش والعمل المشترك وتحالف الطبقات الاجتماعية التقدمية وقواها السياسية الوطنية في جبهة كردستان وفق برنامج مشترك.

أقول: هذا النهج هو الذي يضمن قيام عراق مستقل ويحقق الكيان السياسي الفدرالي لكردستان، ويحقق الحقوق القومية للقوميات الأخرى كالتركمان والكلدو- آشوريين، ويزدهر فيه التآخي بين جميع القوميات.

الخلود للبارزاني

وليتعزز ويتعمق نهجه الديمقراطي التعددي التحالفي.

عن كتاب مئوية البارزاني الخالد

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

مصطفى البارزاني: الزعيم والوطني

د. مهند البراك

تمرّ هذه الأيام الذكرى السنوية لميلاد القائد الكوردي الكبير، الملا مصطفى البارزاني . . الذي عاش ليس كقائداً كردي فقط و انما كاحد القادة العراقيين الكبار الذين قاسوا و ضحّوا بالنفس و الأهل و الأحبة، في سبيل قضية شعبه، و لعبوا ادواراً كبيرة و رائدة من اجل الديمقراطية في العراق، وسط انواع المكائد والدسائس و المخططات التي حيكت من دوائر متنفذة دولية و اقليمية و داخلية، و وسط انواع الأقاويل و التقديرات الخاطئة و كيفية تقييمها للأخطاء التي حصلت، او الملفقة الشوفينية الأهداف و المرامي . .

رغبت كثيراً وترددت بالكتابة عن القائد الكردي، عن زعيم لشعب مكافح مضيّع مكبّل . . احبّه والتفّ حوله ومنحه الثقة، التي لم ينلها الاّ بصبره و اصراره على النضال من اجل الشعب واخلاصه لقيم الانسان مهما كان فقيراً

ومعدماً، اضافة الى ادراكه الى انه حين دعا الشعب الكردي للعمل و النضال من اجل نيل حقوقه المشروعة كحقوق كل البشر، انما كان يخوض في دوّامة صراع معقّد دموي عنيف مخيف غير متكافئ، استطاع رغمه ان يحدد معالم الطريق، وان يشقّه محاولاً استثمار ما توفّر لشعبه في تلك المرحلة، و ان يسعى لطرق وفتح ابواب جديدة وارحب للسير بسفينة القضية الكردية و بالتالي العراقية نحو آفاق افضل من العدل والخير والمحبة وباستثمار الفرص المتاحة باليد، و بالنشاط و البذل من اجل انضاج فرص جديدة . . و باعطاء القضية الكوردية ابعاداً ليست قومية كوردية فقط وانما ابعاد وطنية عراقية، كاسراً بذلك الطوق المفروض على كوردستان من الأنظمة المحيطة بها و من امتداداتها الدولية المتنفذة المتصارعة صراعاً لا رحمة فيه، خالقاً بذلك بعداً انسانياً متعدد الأطياف للنضال الوطني العراقي .

اقول ترددت . . لما تثيره الكتابة من رهبة تقصير او هفوة، حين تتناول زعيم شعبي التقت عنده في مسيرة ثورة ايلول اماني الراعي و الفلاح الكوردي في الجبال البعيدة، الفلاح الفقير و الميسور في الريف . . رب العمل، الطالب و المثقف،العامل و الكادح في انحاء مدن كردستان . . و التقت عنده آمال وطموحات وحاجات كل المناضلين في سبيل الديمقراطية في العراق، فكان الأب والأخ وكان صديق المحن و المنعطفات العسيرة التي عاشتها بلادنا و عموم المنطقة بشهادة الأحداث الحلوة و المريرة التي مرّت وبشهادة معاصريه عرباً و كورداً وكلدوآشوريين وايزيديين .. خاصة و ان طيفه يعيش فاعلاً و ان رفاقه السائرين على خطاه . . ماضون على نهجه، الذي شكّل ظاهرة فريدة في واقع المنطقة . ظاهرة تستحق التقييم و التدقيق العلمي لدور بحث متخصصة .

منذ ان بدأنا نعي الحياة، في طفولتنا في الأعظمية التي سكنها عرب و كورد، باكستانيون و هنود و افغان . . تيمناً بمرقد الإمام الأعظم ابي حنيفة النعمان، حين وا ظبنا على رحلات الدرس اطفالاً ، و كنا نغادرهالنشهدتفجّر ا لتظا هر ا ت و الصدامات مع الشرطة من اجل الحياة و الحرية للسجناء السياسيين عرباً وكورداً و مسيحيين و صابئة . . ومن اجل التضامن لإنقاذ بورسعيد من العدوان الثلاثي و النضال ضد الأحلاف العسكرية ومن اجل السلام . .

وحين كنا صحبة اهالينا، في زيارات لأحبائنا في سجن نقرة السلمان وسجن بعقوبة، وفرحنا الطاغي بلقائهم، الذين كانوا كالقديّسين نحلف برؤوسهم وبسلامتهم لإنهاء اختلافاتنا ونزاعاتنا على امور يومية فكانت المشاحنات تتوقف عند رهبة ذلك الحلف الصادق . . رغم الصوندات التي ذقناها واهالينا ونحن نزورهم او نحييهم ولو من على بعد . كنا نسمع الذكر المتداول باحترام عن الكورد المعتقلين و عن عوائل عشائر بارزان المبعدة الى اعماق البلاد او الرازحة تحت نير السجون و الإبعاد، و كان يثير الرغبة فينا لمعرفة المزيد و المزيد عنهم .

لتمر الأعوام وتكبر . . و تنفجر ثورة الشعب في ١٤ تموز ١٩٥٨ . . حين امتلأت الساحات والشوارع بالجماهير رجالاً و نساءاً من كلّ الأطياف ، تحيي و تهتف و تزغرد للعرس الوطني الكبير ، في جموع اطلقها فجر صباح ذلك اليوم الصيفي . . الذي جعل البيوت والمصالح تفتح ابوابها لإطعام المحتفلين

كنا نتابع ونحن مبهورون صورة قائد الأكراد وهو بملابسه القومية، وباليشماغ الكوردي " الجمداني " الملفوف على رأسه ، وبابتسامته العريضة الواثقة و هو يحيي الجموع العراقية بكل الوان طيفها . . الصورة التي كانت تتكرر و تتجسّد في الأذهان لتراوح المسيرة بعدئذ .

والمتظاهرين، لتتزايد الأفراح بلقاء السجناء المحررين و بعودة المبعدين و المنفيين .

و في ذلك الخضم المتلاطم الذي كان يتواصل . . كانت الناس تتدافع لمشاهدة لقطات بثها تلفزيون بغداد لمراسيم وصول واستقبال القائد الكردي الملا مصطفى البارزاني حين قدم على ظهر باخرة سوفيتية الى ميناء البصرة التي خرج أهلوها ونقاباتها واتحاداتها تحييه وهي تهتف . . " على صخرة الأتحاد العربي الكردي تتحطم مؤامرات الإستعمار "

كنا نتابع ونحن مبهورون صورة قائد الأكراد وهو بملابسه القومية، وباليشماغ الكوردي " الجمداني " الملفوف على رأسه ، وبابتسامته العريضة الواثقة و هو يحيي الجموع العراقية بكل الوان طيفها . . الصورة التي كانت تتكرر و تتجسّد في الأذهان لتراوح المسيرة بعدئذ . . و تتداخل و تتحوّل الى مشاحنات ارادتها مجاميع لم يرُق لها ما كان يموج، رافعة زوراً شعارات قومية نبيلة محوّرة ايّاها الى شعارات قومية ضيّقة دعت الى الثأر ! و كان لها للأسف ما ارادت في افعال وردود افعال . . حين غازلت التعصّب و التعالي القومي، لتحدث عواقب تحمّل مسؤولية تبعاتها وقتذاك اكثر من طرف و اكثر من جهاز حكومي، في متوالية كثيرة التعقيد . .

فبدأت الصفوف تتصدّع ، و اخذ العنف يظهر . . من حوادث فردية الى صدامات محلية هددت بالتوسع و الشمول، حتى وصلت اوجها باندلاع القتال في كوردستان خريف ١٩٦١ . . حين اشتبك رتل عسكري مع فصيل بيشمركة في دربندي خان ، و كأنما كان الشرارة التي اشعلت صداماً عنيفاً لاحقاً في مضيق بازيان ، ليعم اللهيب في انحاء كردستان . .

و بدأت مسيرات و تظاهرات كبيرة و فعاليات لم تنقطع في شوارع العاصمة بغداد نظّمها الحزب الشيوعي العراقي طالبت بـ " السلم في كوردستان " . . وحتى تنظيمه التظاهرة المركزية الكبرى التي قدّر عدد مشاركيها باكثر من نصف مليون آنذاك رجالاً و نساءً ، والتي انطلقت من ساحة النهضة وتصدّت لها وحدات الأمن . . و" الأنضباط العسكري" الذي انضم قسم من افراده الى المتظاهرين . . وتسببت بجرحى و معتقلين اثر صدامات بين رجال الأمن والمتظاهرين . . في وقت بدأت فيه البلاد كلها تعاني مآسي القتال وطوابير قتلى المتحاربين من ابنائها، ثمناً لتلك الفتن لتصل الى الأنقلاب الدموي في شباط عام ١٩٦٣ الذي اجهز على مكاسب الجمهورية الأولى التي كان من اهمها اقرارها بأن البلاد شراكة بين العرب و الكرد . . والذي تسبب بمقتل واعتقال عشرات الآلاف من الديمقراطيين و اليساريين و الشيوعيين . . لتشمل طاحونته الأكراد و ليتجدد القتال بشكل اعنف مما مضى في كوردستان، رغم مراهنة اوساط في الثورة الكوردية عليه، لتثبيت الحقوق القومية التي اعترفت بها حكومة الزعيم عبد الكريم و لم تأخذ طريقها للتنفيذ ؟! بمنظارهم .

و كانت الناس تتناقل اخبار ما لعبه الملا مصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية من دور مهم في احتضان الذين تشرّدوا جرّاء العنف الدموي و اوامر التصفيات الجسدية التي كان يذيعها راديو الانقلابيين، التي تسببت بلجوء العشرات الى كردستان . . الأمر الذي رفع من تزايد مشاعر الأخوّة و الرفقة الكفاحية بين عوائل الديمقراطيين في بغداد و العوائل الكردية الساكنة فيها، والتي اخذت نيران الانقلاب الدموي تطولها . . حتى صار الملا مصطفى و الثورة الكوردية، رمزاً فاعلاً لرفض الدكتاتورية العسكرية الدموية الجديدة، و جبهة للنضال الجماهيري المسلّح من اجل الديمقراطية للعراق و الحكم الذاتي لكوردستان، آنذاك .

جبهة اسس لها تأريخ الأخوة العربية – الكوردية الطويل و المعبّد بآيات التضحيات في النضال من اجل الحرية و العدالة الإجتماعية . . و اسست لها الفعاليات الحاشدة و الصدامات اللاحقة التي راح العديد ضحايا لها في سوح العاصمة و الوسط و الجنوب، و التي طالبت بـ " السلم في كوردستان " و بالأخوة العربية الكوردية على اساس الانتماء للوطن، قبيل الانقلاب . . و بدأتها المقاومة العنيدة لأنقلاب شباط في بغداد التي لعب فيها عقد الأكراد دوراً بطولياً بارزاً اضافة الى المقاومة في الكاظمية والشاكرية و غيرها . . حين وجد الديمقراطيون و الشيوعيون انفسهم في خندق واحد بمواجهة العداء للديمقراطية و التكبّر القومي و العرقي . . ثم حين توالت الاعتداءات واعتقالات الأكراد و المسيحيين و غير المسلمين على الهوية ! بشتى الحيل .

و فيما يصف قسم موقف البارزاني الخالد باحتضانه ضحايا الانقلاب المذكور آنفا، بكونه موقفا لاينسى لأنسان شهم نبيل قادر . . يرى كثير من السياسيين و المحللين بأنه بالإضافة الى ذلك، فأنه نبع من ادراك و معرفة القائد البارزاني بأن الحقوق القومية للشعب الكوردي لايمكن بلوغها دون تحقيق الديمقراطية الحقّة في عموم البلاد، و دون دعم الأحزاب و القوى المناضلة بحزم من اجل الديمقراطية للعراق، التي يضمها معها خندق واحد في النضال من اجل التقدم و العدالة الإجتماعية و في النضال ضد الحرب والشوفينية و الأنعزال القومي .

عن موقع صوت العراق

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

مصطفى البارزاني

ذكراه حية لنضال الشعب العراقي في سبيل الحرية والديمقراطية والعدالة

م. س. لازاريف

قدم الشعب الكردي المضطهد والمجزأ خلال نضاله التحرري الذي دام قروناً كثيرة عدداً غير قليل من القادة والأبطال البارزين والمناضلين في سبيل القضية العادلة، فلم يعد اسم مصطفى البارزاني الذي يحتفل الشعب الكردي كله وأصدقاؤه في هذا العام بالذكرى المئوية لميلاده ملكاً للتاريخ وحسب، بل للعصر الذي نعيش فيه، ذلك انه يرمز ويجسد تلك العزيمة الجبارة وتلك الروح العاشقة للحرية والمقاومة مختلف أشكال الاضطهاد والظلم والاستعداد لمقارعة المضطهدين حتى الرمق الأخير.

لقد حظي اسم البارزاني بشهرة واسعة في كردستان قبل فترة قصيرة من اندلاع الحرب العالمية الأولى وجاء هذا الاسم نسبة الى قرية بارزان الواقعة على ضفة نهر الزاب الكبير في شمالي العراق (ولاية الموصل، قضاء بيركيران في الإمبراطورية العثمانية سابقاً) فهنا المركز الرئيس لعشيرة زيبار (مراراً ما كانوا يسمونه بارزان أيضاً) التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الكرد فقد تخرج فيها الملالي والفقهاء وكانوا يطلقون اسم الشيوخ أو الملالي على ممثلي الأسرة الأكثر شهرة لما لهم من احترام خاص بين الناس، وليس بسبب تأديتهم شعائر دينية أو لأنهم كانوا أصحاب ثروة كبيرة، فهم كانوا ينتمون الى الملاكين الصغار وفق المعايير العامة المتبعة في ذلك العهد، وكان الشيخ عبد السلام البارزاني الأخ الأكبر لكل من أحمد ومصطفى والذين اشتهروا فيما بعد بوصفهم أول من دخل الى تاريخ الحركة الوطنية التحررية الكردية وكثيراً ما كانوا يسمون مصطفى البارزاني الملا مصطفى البارزاني لكن الجزء الأول من اسمه زال فيما بعد.

كان الشيخ عبد السلام أول من رفع راية نضال الكرد التحرري في كردستان الجنوبية ضد النير العثماني وذلك عقب ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨-١٩٠٩ ومنذ ذلك العهد أصبحت منطقة بارزان إحدى البؤر الرئيسة للمقاومة الكردية في كردستان، اما ممثلو أسرة البارزاني فقد كانوا يشغلون الأدوار الأولى في هذه الحركة، فقد القى الأتراك القبض على الشيخ عبد السلام البارزاني وأعدم في الموصل عام ١٩١٤ غير ان شقيقيه الأصغرين أحمد ومصطفى واصلا قضيته، وبرز الاثنان على الساحة السياسية للمرة الأولى فور انتهاء الحرب العالمية الأولى عندما كان العراق الذي كان يحمل آنذاك التسمية التاريخية لميسوبوتاميا محتلاً من بريطانيا.

وفي عام ١٩١٩ اتخذ أحمد ومصطفى البارزاني موقفاً مكشوفاً ضد المحتلين الإنكليز، غير ان الشخصية الرئيسة التي وقفت ضد المحتلين الإنكليز في المرحلة الجديدة للإدارة البريطانية المباشرة التي فرضتها سلطة الانتداب حتى أوائل عام ١٩٣٠ كانت شخصية الشيخ محمود البرزنجي زعيم الكرد في السليمانية.

تحولت قيادة الحركة الوطنية للكرد العراقيين أثناء المرحلة الانتقالية في أعوام ١٩٣٠-١٩٣٢ الى عشيرة بارزان والى الأخوين أحمد ومصطفى البارزاني وذلك عند إلغاء انتداب بريطانيا على العراق وإعلان استقلاله الشكلي، ففي البداية كان الشيخ أحمد هو الذي تزعم الحركة غير انه لم يكن يتمتع بذلك النفوذ السياسي ولم يكن يمتلك الصفات الذهنية التي تؤهله للبقاء في قيادة الحركة فترة طويلة، وبعد مضي ما يقارب عشرة أعوام تخلى عن مكانه لشقيقه الأصغر مصطفى.

لعبت الحرب العالمية الثانية دوراً مهماً في تاريخ العراق وفي تاريخ الحركة الكردية الوطنية التحررية برغم ان الكوارث التي حلت بالعالم قد تجاوزت هذه البلاد بصورة أساسية اذا لم تؤخذ بالحسبان الحرب الانكلو-عراقية في أيار عام ١٩٤١ التي كانت قصيرة الأمد واستمرت ثلاثين يوماً وأصبح العراق الذي كان يحتل موقعاً استراتيجياً مركزياً في الشرق الأوسط ويمتلك احتياطات هائلة من النفط المستخرج والضروري جداً ولاسيما في زمن الحرب موضوعاً لاهتمام حيوي من جانب الطرفين، فقد حاول المحور الفاشي- ألمانيا وايطاليا- استغلال حركة التحرر الوطنية والكردية أيضاً لمصالحها، لكن محاولتهما باءت بفشل ذريع.

كما حاولت الدول الكبرى في التحالف المعادي لهتلر، والتي كان العراق وإيران قاعدتين أساسيتين لمؤخرة جيوشها في الشرق الأوسط، الاستناد الى الأقليات القومية في هذين البلدين، بما فيها الكرد أيضاً، ولكن لأغراضها الخاصة، وحققت نجاحاً ما في هذا الشأن وبصرف النظر عن الأهداف الحقيقية للدول العظمى في الشرق الأوسط فقد تكون وضع للأقليات القومية في المنطقة وفر لها إمكانية القيام بالانتفاضة بصورة مستقلة والدفاع عن مطالبها الخاصة وفي أثناء الحرب تحديداً سطع نجم مصطفى البارزاني في سماء المنطقة، إذ كشف عن موهبته السياسية والاستراتيجية الحقيقية بعد ان اختار ظرفاً أكثر ملاءمة للقيام بحركته، كانت فيه أيادي الامبرياليين الإنكليز وأتباعهم من حكام بغداد أعداء الكرد الرئيسيين مقيدة، وقام آنذاك بعمل تمهيدي كبير بين صفوف القوميين المحليين، ففي ربيع عام ١٩٤٥ اندلعت الانتفاضة وشملت جزءاً كبيراً من كردستان الجنوبية فاضطرت بغداد الى الدخول في مفاوضات او أوصياء الانكليز الذين تريثوا وتجنبوا التدخل المباشر.

استقبل الكرد ومن كان يضطهدهم الهزيمة النكراء التي منيت بها الفاشية عام ١٩٤٥ بصورة مختلفة، فالكرد كانوا يعولون على تطبيق مبادئ الحرية والديمقراطية عليهم والتي أعلنتها "الأمم المتحدة" مراراً خلال الحرب، اما الطرف الثاني فقد رأى بوصفه منتصراً ان بوسعه انتهاج السياسة التقليدية في المسألة الكولونيالية- القومية، وهذا ما قام به الانكليز مقدمين مساعدة عسكرية مباشرة الى صنيعتهم في العراق الجنرال نوري السعيد لقمع الانتفاضة

بقيادة مصطفى البارزاني في صيف وخريف عام ١٩٤٥، لم تكن القوى متكافئة بين الطرفين وانسحب مصطفى البارزاني مع أفراد عشيرته الى الأراضي الإيرانية، حيث تشكل بزعامة قاضي محمد قائد الحزب الديمقراطي في كردستان إيران الذي تأسس عام ١٩٤٥، مركز محلي للحركة الوطنية التحررية للكرد الإيرانيين وترأس مصطفى البارزاني القوات المسلحة في جمهورية مهاباد التي استمرت طوال عام ١٩٤٦ تقريباً، ومن ثم سقطت تحت ضغط الجندرمة والقوات الحكومية التي حظيت بمساعدة مباشرة من انكلترا والولايات الأمريكية.

شكل قيام جمهورية مهاباد الكردية في إيران التي لم تدم طويلاً مرحلة في مسيرة حياة البارزاني من حيث أهميته (كان برتبة جنرال) وشخصية كردية معروفة على نطاق واسع أطبقت شهرته الآفاق في جميع كردستان المقسمة كما برز آنذاك وبوضوح تام عدد من صفاته كالشجاعة الشخصية والمهارة العسكرية.

ستدخل مسيرة الانسحاب- البطولية للمناضلين واللاجئين من سكان كردستان المسالمين بما فيهم النساء والأطفال بقيادة مصطفى البارزاني الى سفر التاريخ الكردي في القرن العشرين، هذه المسيرة التي أطلقت من مهاباد صوب الشمال الى الحدود السوفياتية، حيث تم احتجازهم في أراضي جمهورية أذربيجان السوفياتية، لقد كان الطريق الذي بلغ طوله ٤٠٠ كيلومتر يمر عبر سلسلة جبال كردستان الحدودية، وفي ظروف الشتاء القارس في أعالي الجبال برهن مصطفى البارزاني في هذه المسيرة من جديد على براعته كقائد عسكري وتكتيكي رائع وخبير له باع طويل في المناورات في ظروف حرب الجبال.

وفي أواخر عام ١٩٦٠ غادر مصطفى البارزاني بغداد وكانت مغادرته الاخيرة للعاصمة العراقية فقد انتقل الى كردستان حيث موطنه الأصلي وهناك اندلعت الثورة بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني في أيلول عام ١٩٦١ هذا الحزب الذي كان يقوده مصطفى البارزاني، كانت ثورة أيلول من أكبر الثورات الكردية استمرارية ومصيرية بنتائجها، وجاءت رداً على الانتهاكات الدائمة للحكومة واستفزازاتها، لقد أزفت ساعة اختبار

استمرت الثورة ما يقارب ١٤ عاماً مع بعض الانقطاعات ولعبت دوراً حاسماً في تاريخ الكرد في القرن العشرين وفي السيرة السياسية لمصطفى البارزاني وأحرز الثوار الذين كانوا يسمون (البيشمركة) انتصارات مؤثرة على الفور اذ تمكنوا في العام الأول من اندلاع العمليات القتالية من فرض سيطرتهم على الجزء الأساسي من أراضي كردستان باستثناء المراكز البعيدة والمدن الكبيرة

القوى لهذا الزعيم الكردي البارز.

استمرت الثورة ما يقارب ١٤ عاماً مع بعض الانقطاعات ولعبت دوراً حاسماً في تاريخ الكرد في القرن العشرين وفي السيرة السياسية لمصطفى البارزاني وأحرز الثوار الذين كانوا يسمون (البيشمركة) انتصارات مؤثرة على الفور اذ تمكنوا في العام الأول من اندلاع العمليات القتالية من فرض سيطرتهم على الجزء الأساسي من أراضي كردستان باستثناء المراكز البعيدة والمدن الكبيرة واظهر البارزاني من جديد موهبته الخارقة بوصفه قائداً عسكرياً كبيراً يتميز بعبقرية استراتيجية وتكتيكية كبيرة، إذ أسس جيشاً من مجموعة متفرقة من الأنصار لديه المقدرة على خوض الحرب.

والى جانب هذا كان لصعود مصطفى البارزاني قمم المجد الشعبي العام والاعتراف طويلاً وشاقاً فهو قد ذاق بالمقدار ذاته مرارة الإخفاق وخيبة الأمل فمن اليسير-طبعاً ان نطلق الأحكام بعد ان تقع الواقعة لكن خليق بنا ان نتذكر تلك الظروف الصعبة جداً التي عاش فيها وكافح، فالكرد الذين قادهم البارزاني كانوا على مدى تاريخهم الطويل يواجهون خصوماً اكثر قوة، وبرغم ذلك لم تهدأ الحركة التحررية في كردستان ولو ليوم واحد عملياً، لقد أضفى البارزاني عليها طابعاً تنظيمياً واسعاً وهادفاً ما سمح له وللمرة الأولى ان يحقق نجاحاً فعلياً يتسم بطابع السابقة القانونية حتى من وجهة نظر القانون الدولي، ففي ١١ آذار عام ١٩٧٠ أعلن نهائياً وعلى شكل قانون دستوري إنشاء منطقة حكم ذاتي كردي في الجمهورية العراقية.

لقد مات مصطفى البارزاني الا ان قضيته حية وبعد مرور ١٢ عاماً تغير الوضع في العراق وفي كردستان الجنوبية تغيراً جذرياً ومنح فشل مغامرة صدام في الكويت الكرد فرصة جديدة، إذ ان منطقة الحكم الذاتي الكردية التي ظهرت على الخرائط الجغرافية بفضل النضال الطويل والمتفاني الذي خاضه الكرد العراقيون جميعاً بقيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني وعلى رأسه مصطفى البارزاني حتى منتصف السبعينيات وفيما بعد الاتحاد الوطني الكردستاني أيضاً لم تعد وهما واكتست لحماً ودماً وتحولت الى "كردستان الحرة" التي يقوم الكرد بإدارة شؤونها والإشراف عليها، أنها منطقة حكم ذاتي حقيقية وأولها في تاريخ الشعب الكردي المعاصر، وهي بمثابة نموذج حقيقي للكرد في الدول الأخرى ولها تاريخها، هذا التاريخ الحافل بالآمال والمآسي وان مستقبلها في الحالة الراهنة يوحي بالتفاؤل.

ان كردستان الحرة هي خير شاهد لمصطفى البارزاني القائد السياسي والعسكري الرائع الذي سيبقى اسمه في ذاكرة الشعب الكردي التاريخية الى الأبد.

عن كتاب البارزاني *شهادة للتاريخ*

من أقوال البارزاني

– «لن أطأطئ رأسي أبداً أمام أعداء الشعب الكردي، ولن اسمح ان تتحول بلادي الى مرعى يسرح فيه الأعداء والمغتصبون».

– «إنني أؤمن بالديمقراطية وأردت ان تتمتع أمتي بالسلام والحرية».

– «عار عليّ ان أظل لا مبالياً وراضياً في وقت يعاني فيه الناس الجوع من حولي ولو وهبت لي إمكانية إنقاذ احد ما من الموت جوعاً لحسبت ذلك شرفاً عظيماً لي».

– «طالما احمل البندقية في يدي فأنا سيد نفسي ولن اخدم أية سلطة او دولة أجنبية، لن اخدم الانكليز ولا الأمريكان ولا الروس، فلست عميلاً ولا جاسوساً بل خادم شعبي».

حول الشعب وأنصاره

– «الشعب الكردي يميل فطرياً الى الديمقراطية واحترام القانون».

– «لو نحظى بتأييد الشعب فلن يتمكن العدو أبداً من إلحاق الهزيمة بنا حتى لو كان متفوقاً علينا الف مرة بالعدد والسلاح».

– «نعتز بأبناء شعبنا الذين هبوا دفاعاً عن حقوق الشعب الكردي برغم الظروف القاسية، وتحملوا الأخطار والمعاناة من الجوع والبرد والملاحقات القضائية والاعتقالات والقتل والتعذيب».

حول الواجب الأخلاقي والوطني

– «على كل امرئ ان يعرف واجباته ويؤديها بشرف وإخلاص، وان كل من لا يسعى الى خير الشعب ويتهاون في أداء واجباته ينبغي عده عدواً».

– «اسعوا الى توحيد قلوبكم وأيديكم وضعوا وحدتها في خدمة مصالح الأمة الكردية».

– «حاولوا ان تكونوا ممثلين للأخلاق والمعرفة والشرف لشعبكم».

واجب القائد

– «يجب ألا تكون القيادة هدفاً بحد ذاتها، وان من يكرس جهوده وقواه لخدمة الشعب فإنه يصبح قائداً بصورة آلية».

حول القوى المسلحة كضمان للاستقلال

– «ما إن تتخلوا عن سلاحكم للآخرين فإن ذلك سيعني أنكم سمحتم لهم بتقرير مصيركم وعليكم الخضوع لإرادتهم».

العراقيون

من زمن التوهج

العدد (1748)

السنة السابعة

الخميس (18)

شباط 2010

قالوا عن البار

«زعيم اجتمع فيه القديم والحديث، وهو متفانٍ من أجل شعبه» .

جمال عبد الناصر
الزعيم المصري الراحل

«استطاع مصطفى البارزاني انتزاع أول اعتراف قانوني بحقوق الأكراد في العراق وهو أول اعتراف إقليمي بمطالب القومية الكوردية، والتي كانت البداية لإقرار الآخرين بمشروعية حقوق الشعب الكوردي» .

وليم توهي
صحيفة ((واشنطن بوست)) ١٩٧٠/١٢/٨

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

زاني الخالد

« إن فضائله هي من طراز الشجاعة القديمة ، حتى أن الإنسان ليعجب بسموها إلى درجة ما ، عاش يقود ثورة بعد ثورة بأساليب زعيم محنك ، ولكن بلا غاية سوى الكبرياء والاستقلال . إن الحروب التي نشأ فيها كانت مشوبة بالوطنية ، وفي مهاباد وجد نفسه قائدا لثلاثة آلاف مقاتل ، منفيا في دولة لا جيش لها لحمايتها ، وبذلك جعلت منه الظروف قائدا في حرب وطنية ، وكانت حياته سلسلة من الحرب والنفي ، نموذج حياة كثير من الأكراد فيها قوة العزيمة وتعبر عن أقدارهم ومآسيهم ، كل هذه كانت صفات بارزة في مصطفى البارزاني .

ديفيد آدامسن
صحفي بريطاني
في كتابه ((الحرب الكوردية))

« في وقت من الأوقات كنت أريد أن ألقاه عبر الطريق الطويل والخطر . . كان الترتيب أن أذهب إلى فيينا عاصمة النمسا ، وهناك أضع نفسي تحت تصرف مندوبين له يرتبون سفري أو تهريبي إلى كوردستان لألتقي في قرية من قرى الجبال هناك بمصطفى البارزاني قائد الثورة الكوردية . كان ذلك منذ سنوات . . لكني أخيرا قابلته، وبأقصر الطرق ، وأكثرها أمانا .

محمد حسنين هيكل
المفكر القومي العربي

« من بين جميع شهداء الحركة القومية الكوردية وأبطالها ، فإن للبارزاني مكانة خاصة عند الأكراد ، ويمكن العثور على صورة معلقة في منازل الأكراد البسطاء في تركيا والاتحاد السوفيتي، وفي مكاتب الصحافيين المشهورين في واشنطن ، فحياته أشبه بأسطورة ، والإنجازات العسكرية التي حققها في ميادين القتال ، تشكل أحد المصادر القليلة لاعتزاز الأكراد بهويتهم القومية (وهم يروونها لأبنائهم وأحفادهم مرارا وتكرارا حيثما وجد كوردي) ، وأسهمت في إبقاء الحركة القومية الكوردية حيّة على مدى عقود طويلة . وقد امتلك البارزاني الشرط الرئيسي من شروط القيادة وهو القدرة على اجتذاب الولاء العاطفي لشخصه، الذي دفع الرجال والنساء عل ترك كل شيء خلفهم والسير وراءه مهما تكن الظروف صعبة والمخاطر كبيرة . »

جوناثان راندل
صحافي أمريكي مؤلف كتاب
((دروب كوردستان كما سلكتها))
البارزاني الخالد في مواكب النور

« قائد تاريخي توّاق للحرية ، ثائر للانعتاق من الظلم والجور)) .

كمال جنبلاط
الزعيم اللبناني الراحل

« لم يشهد تاريخ الشرق الأوسط قائدا مثله لا يتنازل عن كرامته ورصانته في كل الظروف العصبية التي كانت تمر بها كوردستان ، وكانت ذهنيته السياسة متطورة جدا تعينه على التعمق حتى يصل إلى النتيجة النهائية أو الى قلب المسألة التي يبحث فيها

دانا آدامز
صحافي أمريكي
مؤلف كتاب ((رحلة إلى رجال شجعان))

«الطود الشامخ في تاريخ الشعب ورمزه النضالي ، إذ ليس هناك من يعتد بنفسه وبمقوماته إلى الحد الذي يؤهله لإلقاء درس من دروس الوطنية على ذلك الرجل الذي رفع راية الكفاح فوق ذرى جبال كوردستان منذ عام ١٩٣١ م ». التقى الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني في شهر مايو / أيار العام ١٩٦٦ في موطن الثورة الكوردية عندما كان يشغل وظيفة رئيس تحرير صحيفة /لا ديبيش دو ميديا/ الفرنسية ووصفه : بـ « الزعيم الأسطوري لشعب يأبى الاستكانة والخضوع)).

رينيه موريس
مدير المكتب الصحافي
لرئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق فرانسو ميتران

« مصطفى البارزاني رجل عظيم . . علينا أن نقرأ تاريخه «.

حسني مبارك
رئيس جمهورية مصر

لحظة إطلاعه على كتاب ((مصطفى البارزاني زعيم الحركة القومية الكوردية المعاصرة)) عند افتتاحه مطابع / الأهرام / الجديد في القاهرة العام ١٩٩٦.

كان البارزاني قائدا عظيما ورجلا مناضلا تعرض للغدر " .

ياسر عرفات

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

أنا والقائد الخالد المرحوم مصطفى البارزاني

عربي الخميسي

أحسب ان عنوان مقالتي هذه فيه شيء من الاثاره والاستغراب ايضا ، مما يدعو القارئ الكريم الى التساؤل المشروع ترى ، ما العلاقه بيني وبين هذا الرجل الشجاع المؤمن بقضية قضى عمره من اجل تحقيقها ؟
أكتب الان بمناسبة مرور ٤٩ سنة على الفرصة التي جمعتني وهذا الرجل ،! وأكتب ايضا بمناسبة مرور ٢٩ سنة على رحيل هذه الشخصية الكبيرة الفذة ! كما أكتب ثالثة بمناسبة موقف انساني خصني به ! وسآتي عليه لاحقا
الحقيقة لم تكن لدي المعرفة الكاملة بطبيعة المناطق الشمالية للعراق ، وعلى الخصوص المرتفعات وذرى قمم جبال كردستان الوعرة ، ووديانها السحيقة المكتظة بالغابات ، وكهوفها المظلمة العميقة من قبل وانا ابن الجنوب !! وحتى دخولي الكلية العسكريه سنة ١٩٤٦ وتخرجي فيها سنة ١٩٤٩ برتبة ملازم ، وكان من نصيبي ان التحق بمدرسة الحروب الجبلية ، مرشحا عن الفوج الاول من اللواء الخامس عشر ولم تمض عليَ بهذه الوحدة سوى ثلاثة اشهر فقط . إلا ان الامور جرت كما شاءت لها ان تجري !!

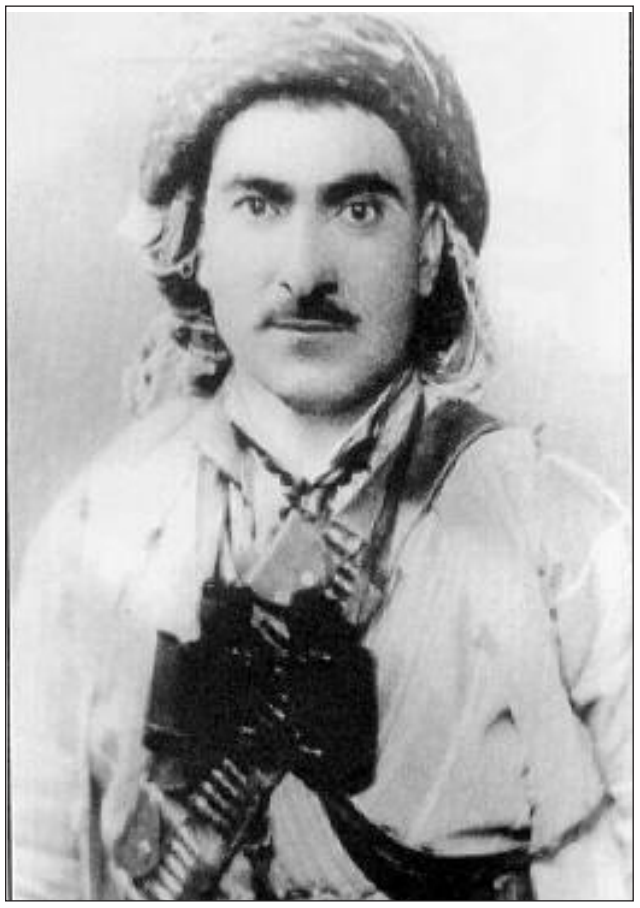

في شبابه

حين منح رتبة جنرال

إرتأيت ان اسرد هذه المقدمة لكي ، الفت عناية القارئ الكريم الى ارتباط الاحداث التالية بالجبال والمنطقة بكاملها والتي ساروبها كما عشتها . التحقت بهذه المدرسة (مدرسة الحروب الجبلية) التي كان موقعها في مكان يعرف ب (اسواره توكه) ، الكائن بالقرب من مصيف سرسنك بمحافظة دهوك حاليا ، وكان آمر المدرسه آنذاك الرئيس الاول عزيز داخل ، وأحد معلميها الملازم الاول سعيد حمو الذي اصبح فيما بعد برتبة فريق وخبير الحروب الجبيلة ، ومستشار صدام حسين والبعثيين بحروبهم العدوانية . كان منهج الدوره يقضي من جملة ما يقتضيه ، الاطلاع على المنطقة ميدانيا ، وتسلق قمم الجبال عمليا ، ونصب الربايا عليها ، ومعرفة مسالك الطرق والنياسم فيها ، وكيفية حماية الارتال للقطعات العسكرية المتقدمة على محاور تقدمها وغيرها من امور، إلا أن ما يلفت النظر ان يقف المعلم بموقع معين ، ويبدأ بشرح أهمية هذا الموقع التعبوية ومن ثم يقول بتاريخ كذا ....

هنا .. وقعت المعركة الفلانية بين جحفل لواء الفلاني او الفرقة العراقية الفلانية ، وبين (المتمردين) وطبعا ، كان يقصد المقاتلين الابطال من الثوار الاكراد . ! ثم يسترسل فيقول ان فردا او اثنين منهم اوقفوا الرتل المتقدم في هذا المكان الى كذا ... يوم . وكنا نحن الضباط من ذوي الرتب الصغيرة ، طلاب المدرسة كثيرا ما نتساءل ، وربما مع أنفسنا كيف ان فردا او اثنين من هؤلاء المقاتلين بامكانهم ايقاف جحفل لواء ؟ وهو يفوقهم عددا وعدة ؟ ومضت الايام والسنون واذا نحن نزور المنطقة مرة ثانية ليس بصفة طلاب مدرسة الحروب الجبلية ولكن ، بصفة طلاب كلية الاركان العراقية سنة ١٩٥٧ وكان الهدف من الزيارة ، دراسة طوبوغرافية المنطقه من الناحيتين التعبوية والسوقية (استراتيجية) بدقة وتفاصيل اكثر شمولية من شانها ، وضع الخطط المختلفة لصفحات الحرب المختلفة ، وكان التركيز ينصب على كيفية وإسلوب مقاتلة الثوار الكرد (المتمردين)!! حيث ان القتال في المنطقة الجبلية يعتبر من الحروب الخاصة التي لا تشبه الحروب النظاميه الاعتيادية في المناطق السهلة لأعتبارات كثيرة .

وأتذكر في يوم من ايام زيارتنا للمنطقة وقف آمر كلية الاركان الزعيم الركن حسن مصطفى شخصيا على سفح جبل (شيرين) المشرف على سهل وقرى بارزان ، ليشرح لنا تلك المعركة التي دارت رحاها بين فرقة مشاة متجحفلة مع قطعات اخرى ، وبين القلة من المقاتلين الاكراد في منتصف سنة ١٩٤٦ والتي تمخض عنها محاصرة الفرقة بكاملها ، ومحاصرتها في ساحة ضيقة لا تتجاوز مساحتها مساحة دائرة قطرها الخمسمائة متر من قبل أولئك النفر من المقاتلين ! ، بعد ان استخدموا مدفعا جبليا كانوا قد استولوا عليه من القطعات العراقية في معركة سابقة ، وخلال تجوالنا بالمنطقة الكردية شرقها وغربها جبالها ووديانها ، لاحظنا وعورة ومدى مناعة هذه المنطقة وتضاريسها ، وصعوبة التوغل فيها خاصة لقطعات نظامية عراقية كانت ، او اية قوات اخرى تحاول دخولها بغية احتلالها والسيطرة عليها ، ولكن يبقى السؤال ذات السؤال ، ترى لماذا كل تلك الحروب والضحايا وهل هم حقيقة متمردون ام دعاة سلام ؟

شاءت الظروف ان التحق بموقع البصرة العسكري في يوم ١٨ من تموز سنة ١٩٥٨ أي بعد الثورة المجيدة باربعة ايام فقط ، من تأسيس الجمهورية العراقيه الاولى لأشغل منصب ضابط الركن الحركات الثالث ووكيل ضابط استخبارات الموقع .

كان من اولى مكتسبات الثوره هو الاعتراف بالاكراد كشركاء بهذا الوطن ولأول مرة بتاريخ العراق كما ورد ذلك النص بدستور الجمهورية الأولى، واصدارها قرارا آخر يقضي بدعوة الاخوة الاكراد للعودة الى العراق ، والغاء جميع الاحكام والأجراءآت التعسفية الصادرة بحقهم من قبل السلطة الملكية السابقة ، ومن المعلوم ان المرحوم الملا مصطفى البارزاني وصحبه الاخيار كانوا قد رحلوا الى الاتحاد السوفيتي سابقا ، إثر ملاحم المعارك البطولية الدامية التي دارت رحاها بين قطعات الجيش العراقي وبين الثوار الاكراد الشجعان ، تحت قيادة القائد الكردي المحنك ملا مصطفى اواسط سنة ١٩٤٦ وما بعدها ، وبالنظر لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين نتيجة التفوق الهائل من جانب القوات العراقية من حيث العدد والعدة ، إضافة الى انحياز ووقوف دول الجوار كل من ايران وتركيا الى جانب العراق عسكريا وسياسيا ، لذا اصبح من المستحيل على الثوار الصمود ، ويعني البقاء وقبول المعركة هو الانتحار بعينه ، ولما ادرك القائد الممارس صاحب التجربة الطويلة ملا مصطفى حجم المؤامرة المدبرة لأبادة ليس فقط المقاتلين الاكراد بل الجماهير الكردية المدنية البريئة في عموم المنطقة ، قرر ان ينسحب في الوقت المناسب ، والخروج من الحصار والطوق الذي فرضته على المنطقة قوى الشر للدول الثلاث المذكورة فكان قراره الصائب هذا يعتبر سفر من اسفار المعارك التاريخيه ، حيث انسحب بالوقت المناسب بانتظام مشيا على الاقدام ، بمنطقة وعرة جدا مدة تزيد على خمسين يوما ، نحو الحدود السوفيتية الايرانية وعبور نهر اراس ، الذي يفصل الحدود بين ايران والاتحاد السوفيتي خلسة ، و في موسم ارتفاع منسوب المياه ، وقد انهى انسحابه دون ان يعطي اية خسارة بشرية ، وفق خطة انسحاب دقيقة ومدروسة وغير مكشوفة ، وبعبارة اخرى تمكن من ان يباغت خصمه الطرف الثاني بانسحابه بسلام ، والتملص من الأسر المحتم او الابادة المؤكدة ، وهي حركة تسلل رائعة ودرس عسكري من الدروس العسكرية الجديرة بالدراسة في اكاديميات وكليات فنون الحرب العسكرية !!

اني لست بصدد شرح صفحة الانسحاب بل اني لا بد ان اوضح للقارئ الكريم سر اعجابي بهذه العملية العسكرية الناجحة بكل المقاييس ! وبشخص قائدها ! ولا بد من السؤال التالي .. أليس هذا القرار ناتجا عن وعي وقراءة واقعية للحالة الراهنة آنذاك ؟ وعن ما يطلق عليه بلغة العسكر تقدير موقف عسكري صائب و بُعد نظر لهذا القائد المحنك ؟ ، واستقراؤه الحدث قبل وقوعه ، ومن ثم درجة تحمله مسؤولية المحافظة على حياة المقاتلين من اصحابه ؟؟ وبما يتمتع به هذا الرجل من قوة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

ارادة وشجاعة وصمود وهو يقود رفاقه البالغ عددهم حوالي المئتي فرد ، بظروف مناخية قاسية وارض وعره وجو بارد ممطر يسيرون بحذر شديد ، وهم تحت وطأة ضغوط نفسية هائلة نتيجة شعورهم بالخوف من إحتمال ألأيقاع والغدر بهم من قبل الطرف الاخر الذي يلاحقهم ؟ اليست هذه صفة مميزة ونادرة من صفات القائد الناجح ؟ ليس فقط في الجانب السياسي بل أيضا في الجانب العسكري الحرفي الذي صقلته التجارب ؟ !!.

في آذار من عام ١٩٥٩ تسلم مقر موقع البصرة العسكري تعليمات ، صادرة من مقر الحاكم العسكري العام الزعيم الركن احمد صالح العبدي تفيد ، ان الاخوة الاكراد القادمين بحرا من الاتحاد السوفيتي سيصلون مدينة البصرة يوم ١٥ / ٤ / ١٩٥٩ على ظهر السفينه السوفيتية المسماة (جورجيا) وتطلب من آمرية الموقع المذكور اجراء اللازم لاستقبالهم والعناية بهم حتى مغادرتهم البصره. وتنفيذا لأوآمر الحاكم العام وضع الموقع خطة وبرنامجا للأستقبال بالتعاون والتشاور مع الادارة المدنية لمدينة البصرة، واتحاد العمال فيها وممثلي النقابات ولاسيما نقابة الموانئ وسكك الحديد والنفط والطلبة من اجل تنظيم مواكب الاستقبال بما يليق بهؤلاء الابطال القادمين لأرض بلدهم العراق واهلهم وذويهم ، طالما شردوا وغيبوا من اجل حقوقهم المهضومة كل هذه السنين الطويلة ، ومدى اعتزاز وتقدير الثورة وقادتها بهم ،

وفي صباح يوم ١٥ / ٤ / ١٩٥٩ وصل البصرة قادما بالطائرة من بغداد الزعيم الكردي ملا مصطفى البارزاني ، وكان باستقباله بالمطار متصرف لواء البصرة وامر الموقع ومدير الشرطة وممثلوا الاحزاب الوطنية الذين وصلوا البصرة خصيصا بهذه المناسبة ، ونزل بفندق شط العرب لغرض استقبال القادمين ، وفي ذات اليوم تحركت الوفود المستقبلة من جماهير البصره ومنظماتها الوطنية من المجتمع المدني نقابات وجمعيات من مختلف المهن عمالا وطلابا ومعلمين ومهندسين واطباء

ومحامين وغيرهم من الجماهير الغفيرة ، مستخدمة الزوارق والمراكب والسفن الصغيرة البخارية والشراعية والابلام ، منذ الصباح الباكر باتجاه الفاو سالكة مجرى شط العرب حتى مصبه عند رأس البيشة . وهكذا بدأ استقبال الباخرة جورجيا وكأنها عروس في ليلة زفافها الى عريسها ، بين الهلاهل والطبول على الطريقة العراقية ، وهي متربعة على عرشها ، متأنية في سيرها في وسط شط العرب ، تحيط بها الجماهير المنقولة بوسائط النقل المائية المختلفة ، من كل حدب وصوب رافعة الاعلام العراقية والرايات الملونة، مصحوبة بدق الطبول والاجراس وهي تنشد وتهتف باسم الشعب العراقي ووحدته الوطنية وتلاحمه وبحياة الثورة وقادتها وزعيمها الخالد عبد الكريم قاسم ، وكانت صافرات وابواق السفن القادمة والمدبرة تطلق صفاراتها ترحيبا وتكريما للباخرة جورجيا وركابها ، حتى وصلت الى ميناء المعقل بعد مسيرة استغرقت حوالي خمس ساعات ، اذ كانت الباخرة تسير ببطء شديد تحفظا مما تحدثه من امواج قد تسبب غرق الزوارق والسفن الصغيرة المحيطة بها ، ويا له من منظر جميل رائع يسحر الالباب حقا . وعند رسو الباخرة جورجيا على احد ارصفة المعقل ، صعد اليها كل من المرحوم ملا مصطفى ، ووكيل المتصرف شاكر الدجيلي ، وآمر الموقع العقيد مجيد علي ابو ديلاور يرافقه العقيد الركن ابراهيم فيصل الانصاري آمر الفوج الثاني ، ورئيس مهندسي الموانئ الدكتور طارق الكاتب ، والعقيد الركن الطيار صادق العزاوي مدير الارصفة ، والعقيد الركن عامر حسك مدير شرطه البصرة ، وممثلو الاحزاب الوطنيه الذين جاء بعضهم من بغداد خصيصا ، اعرف منهم الشهيد المحامي حمزه سلمان ممثلا عن الحزب الشيوعي العراقي ، ومن البصرة ذاتها رأيت اعضاء من اللجنة المحلية للحزب وشخصيات اخرى ، اذكر منهم سطان ملا علي وجاسم مطير وحميد الحكيم وحميد السامر وحميد بخش وعزيز وطبان وغيرهم ، لحضور هذه المناسبة إضافة الى رؤساء النقابات كافة ، ومن اللافت للنظر ان الزعيم الركن مزهر الشاوي مدير الموانئ العامة ووكيله العقيد خضر عبد الجليل والمتصرف عبد الوهاب عبد الرزاق لم يكونوا من المستقبلين كما يفترض بهم ان يكونوا!!!

الباخرة جورجيا لم تكن باخرة عادية بل ، انها كانت باخره كبيره جدا مخصصة للركاب فقط ، يبلغ ارتفاع سطحها عن مستوى الرصيف بحوالي العشرين الى الثلاثين مترا او اكثر، مما جعل الصعود اليها صعبا بعض الشيء بسبب طول سلم الصعود ، الا انها كانت بالداخل واسعة كبيرة سهلت احتواء راكبيها القادمين البالغ عددهم حوالي الخمسمائة فرد بين طفل وامرأة ورجل. جرت عملية انزال الركاب بانتظام بين ترحيب الجمهور الذين اكتضت بهم ساحات الارصفه، وهم ينشدون ويرقصون ويهتفون محيين مرحبين بالاخوة القادمين ، وقد استغرقت العمليه حوالي ثلاثة ساعات ، نقلوا خلالها الى عربات القطارات الصاعده الى بغداد مباشرة ، والتي جرى تهيأتها لهم خصيصا وفق خطة مدقنه من قبل مديرية السكك ، وكانت جميعها من عربات الدرجه الاولى والثانية ، وقد رافقت الجماهير الاخوة الاكراد حتى محطة القطار ولم تنصرف منها الى ان غادر المحطه آخر قطار في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم . ثم حضرت الوفود والمدعون والجماهير الحفل الخاص بهذه المناسبة السعيده المقام في نادي الادارة المحليه الواقع في العشار ، وكان من الحاضرين كل من المرحوم ملا مصطفى البارزاني والاخرين كما اسلفت إضافة الى كابتن الباخره جورجيا يرافقه اثنان من البحاره ، وكنت انا شخصيا من بين الحضور لهذا الحفل ، حيث ابتدأ الممثلون بالقاء كلماتهم الترحيبيه بالتعاقب وفق البرنامج الموضوع مسبقا ، والمهم هنا ، هي الكلمة الرائعه التي القاها القائد الكردي بهذه المناسبة ورغم قصرها ، الا انها معبره عن صدق نوايا واخلاص صاحبها ولأنها ذات دلالات وطنيه ، ودعوه الى وحدة الصف ، ونبذ الخلافات ورفض التحارب والاقتتال بين الاخوة العراقيين ، واستخدام لغة التفاهم والحوار بدلا من التنابز والتنافر ، وان كنت انسى فلا انسى تلك المقولة التي وردت بكلمة هذه الشخصيه المحترمة ، حين قال مبتدءاً كلامه (اني كفرد من هذا الشعب العراقي العظيم كنت في خدمتة دوما ولا ازال ، وانا الان جندي من جنود عبد الكريم قاسم ..... الخ) لا يخفى على القارئ اللبيب ما لهذه الكلمة من معان عميقه ودلالات وطنية ودعوات مخلصة امينة اترك تقديرها للقراء الاكارم وفي وقت اخر قام المرحوم البارزاني بزيارة موقع البصرةالعسكري ، وكان باستقباله والترحاب به آمر الموقع العقيد مجيد علي وضباط هيئة ركن الموقع والعقيد الركن ابراهيم فيصل الانصاري والعقيد خليل السوس وغيرهم من الضباط ، وحال سماع خبر الزياره من قبل الجنود تراكضوا صوب المقر في معسكر محمد القاسم قرب محلة الجمهوريه ، واحاطوا بالموقع وهم يهتفون بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم وحياة الزعيم الزائر ملا مصطفى البارزاني وحياة الشعب العراقي ووحدته ، والاخوه الصميميه بين مكونات هذا الشعب وهم يرددون اغنية المنولوجست العراقي الشهير المرحوم احمد الخليل (هربجي هربجي كرد وعرب رمز النضال .... الخ)

جلس الضيف الكريم على الكرسي المهيأ له مسبقا على يمين آمر الموقع ، ثم يليه مكان جلوس المقدم الركن ماجد نجم الدراجي مقدم اللواء ، ثم يأتي مكاني (كاتب هذه السطور) وبدأ امر الموقع بالكلام مرحبا بالضيف ، شاكرا له زيارته ومباركا بعودة الاخوة الاكراد ووصولهم سالمين الى ارض الوطن ، متطرقا الى ثورة تموز الخالدة وقيادتها الرشيدة بزعامة الزعيم عبد الكريم قاسم ، ومن ثم تكلم المرحوم البارزاني شاكرا حسن اللقاء والاستقبال ، ثم اطرى على ثورة تموز واهدافها التحررية وانجازاتها الكبيرة ، ورجالها المخلصين ، وخص بالذكر الزعيم عبد الكريم قاسم وموقفه من الاكراد المُهجرين وعودتهم للوطن واستقبالهم الرسمي الحافل ، وخلال الحديث كنت صاغيا متلهفا بشدة لسماع كلام هذه الشخصية الفريدة ، طالما سمعت الكثير عن هذا الرجل وتردد اسمه دوما مقرونامقترنا بشدة البأس والنضال والصمود بوجه الاعاصير دون كلل خلال ايام الدراسة العسكرية ، وسألت نفسي والاخرين عن مآثرها وبطولاتها ، وسر ارتباطها العضوي بحقوق قومه الاكراد ، وتمسكها بمبادئ الحرية والعدل وبجبال كردستان ووديانها وسهولها ومتاهاتها !! وفي لحظة اللقاء اتاحت لي فرصة التحدث معه مباشرة فسألته ...

كنت انسى فلا انسى تلك المقوله التي وردت بكلمة هذه الشخصيه المحترمة ، حين قال مبتدءآ كلامه (اني كفرد من هذا الشعب العراقي العظيم كنت في خدمته دوما ولا ازال ، وانا الان جندي من جنود عبد الكريم قاسم ..... الخ) لا يخفى على القارئ اللبيب ما لهذه الكلمة من معان عميقه ودلالات وطنية ودعوات مخلصة امينة اترك تقديرها للقراء الاكارم وفي وقت اخر قام المرحوم البارزاني بزيارة موقع البصره العسكري

س – العفو ملا كم سنة قضيتم بالاتحاد السوفيتي ؟

ج – والله كاكا حوالي ١٢ سنة كنت اتنقل من مكان الى مكان.

س – ملا رجاء كيف ترى العراق الان ؟

ج – ارى العراق الان كمن ولد من جديد

س – منو الاحسن العراق او الاتحاد السوفيتي ؟

ج – كاكا بيتك دائما الاحسن .

س – كاكا رجاء إشراح تسون بعد ان رجعتم للعراق ؟

والله كاكا سنعمل مع قادة الثورة يدا بيد .

سألني

س – شكد صار لك هنا ؟

ج – كاكا صار لي سنة وشويه

س – انت من بغداد ؟

ج – نعم انا من بغداد ولكن اصلي من الجنوب .

وهنا تدخل آمر الموقع العقيد عبد المجيد علي ليضيف قائلا :– الرئيس الاول الركن عربي فرحان هو من ضباطنا الوطنيين النشطين ، وانا اعتمد عليه كثيراً ، التحق بالموقع بعد الثورةباربعة ايام وهو من اخوتنا الصابئة المخلصين للوطن والواجب (الحقيقه لا اعرف حتى الان لماذا تدخل ولماذا ذكر هذا !!) جواب الملا مصطفى بارك الله بيه وبيكم وبكل المخلصين

تآمر المتآمرون وسقطت ثورة تموز سنة ١٩٦٣ وشاعت الجريمة، وسالت دماء الابرياء وذبح من ذبح من المخلصين للوطن والشعب ، وتفرق الجمع واتلف الزرع والنسل ، وتمزقت عرى الاخوة والتلاحم بين مختلف اطياف الشعب العراقي ، على ايدي عملاء الاجنبي وعصابة البعث وحل بالعراق ما حل يوم الانقلاب الاسود في ٨ من شباط ١٩٦٣ .

وكان من نصيبي ان ادخل سجن نقرة السلمان السيئ الصيت دون تهمة او مذكرة توقيف ، وكانت لي اخت حبيبه رحمها الله تسكن محلة (رحيم آوه) وهي محلة يسكنها الاخوة الاكراد في كركوك ، وقيل لها ان اخاك المعتقل في نقرة السلمان يمكن ان يطلق سراحه لو أنك تمكنت من الوصول الى الملا مصطفى البارزاني وهو خير ما يفعل لمن يستنجد به ويطلب مساعدته ، هكذا قيل لأختي هذه المرأة البسيطة الساذجة والتي لا تقرأ ولا تكتب! و بحكم مشاعر الاخوة وصلة الرحم شدت رحالها وسافرت قاصدة الشمال وهي لا تعرف من الشمال شيئا ، وصلت هذه المرأة المسكينة مصيف صلاح الدين ، وهي تسأل وتبحث عن رجل الساعة والانسان المرحوم ملا مصطفى البارزاني ، وقيل لها انه في كلار توجهت الى كلار ، ولم تجده ايضا فارشدها احدهم بالذهاب الى كلاله ، فلم تتوان عن السفر ، رجعت ثانية الى كلاله ، وهناك عند الاستفسار منها عن الجهة التي تريد ؟ قالت لهم بكل براءة انا

قادمة لملاقاة القائد الملا مصطفى البارزاني ، لأطلب منه اطلاق سراح اخي الضابط عربي فرحان فانتبه ، احد الاشخاص من الحاضرين عندما نطقت اسمي ، وكان هذا الشخص الرئيس الاول الركن محمود سامي عبد الشكور زميلي في الكليتين العسكريه والاركان ، والذي التحق هو الاخر بالمقاتلين بالشمال بعد الانقلاب الاسود ، فاخذها وضيفها عنده مشكورا ، وفي اليوم الثاني اصطحبها الى مقر المرحوم الملا مصطفى ، وقدمها له شارحا معاناتها من اجل اخيها المعتقل بلا جريمة او تهمه فرحب المرحوم غاية الترحاب بها ، ومن خلال شرح الزميل محمود سامي له عن تأريخي وخلفيتي ، تذكرني جيدا هذا الرجل الشريف وتذكر يوم لقائي به في البصرة عند قدوم الاخوة الاكراد الى وطنهم العراق ، هذا ما روته لي فيما بعد المرحومة اختي ام يحيى عند عودتها وزيارتها لي ، وان المرحوم البارزاني كلف الصديق العزيز محمود سامي عبد الشكور ان يرعى هذه السيدة الفاضلة ، وان يؤمن لها سلامة العوده بعد ان طمأنها قائلا ، بانه سيعمل جاهدا وبكل ما يقدر عليه من اجل اطلاق سراح اخيك وكل المعتقلين الوطنين الاخرين من عسكريين ومدنيين ، ثم اردف قائلا لها يا ايتها السيدة لا تنسي بلغي سلامي للصديق أخيك .

بقى ان يعرف القارئ الكريم نتيجة جهود هذه السيده فاقول ، نعم ان المرحوم الملا مصطفى لم ينس وَعْده لأختي فقد طلب من رئيس الوزراء آنذاك طاهر يحيى التكريتي ان يطلق سراحي والضباط الاخرين من نقرة السلمان ، الا انه رفض بحجة عدم موافقة عبد السلام عارف رئيس الجمهورية في حينه ، وقد أكد لي هذا الموضوع فيما بعد الزعيم طه ياسين رئيس المحكمة العسكرية في البصرة .

والان وانا اعيش بالزمن الضائع ، وبعد مضي كل هذه السنين الطويلة ، اشعر وكأني ابحث عن مفاخر الرجال وهم كالدرر نادرة ! وقد ضاعت القيم من اجل المقام ، وبِيعَت الذمم بالدولار فاين اجد امثال ذلك القائد الانسان ذي المعروف والاحسان ؟؟

المجد كل المجد للقائد الكردي الخالد ملا مصطفى البارزاني

له الخلود في طهر ثراه

له الذكرى الطيبة في ذكراه

ملف خاص في ذكرى ميلاد البارزاني موقع كلكامش الالكتروني

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

ليلة مع الملا مصطفى البارزاني

ارشد توفيق×

شجرة الجوز في كردستان تخبرك عن فصول السنة ، في الخريف هناك مهرجان للالوان في اوراقها وفي الورقة الواحدة اختصار لكل الوان الخريف . الجبال الزرق في الافق وبساتين على طول الطريق تعلن كل شجرة عن نوعها باللون الذي ترتديه .. اشجار السماق في سفوح التلال تلتهب حمرة شأنها شأن الكروم التي لم يبق فيها غير عناقيد منسية يحوم حولها النحل . في الانسام رعشة باردة تنعش ولا تؤذي في الطريق الجبلي الذي يؤدي الى احدى مقرات الملا مصطفى البارزاني .

قبل كلالة دلفنا يمنة حيث كان المرحوم ادريس البارزاني ينتظرنا بسيارة جيب .. كانت الطريق وعرة وغير مبلطة تلتف حول سفح .. ظلت السيارة تهبط بنا الى ان وصلنا قرية صغيرة في واد عميق تحيطه الجبال من كل صوب .. لم تكن قرية بالمعنى المعروف حيث لا اطفال ولا نساء الا واحدة كانت تخبز الى جانب تنورها وفي المكان رجال مسلحون .

قادنا المرحوم ادريس البارزاني الى حيث يستقبل والده ضيوفه : مبنى متواضع من طين يحتوي على غرفتين بينهما موقد للشاي ، الغرفة اليسرى تحتوي على كراس متواضعة ومنضدة تقع يمين الغرفة ، اما الغرفة اليمنى فهي لمبيت الضيوف ، لا أسرة فيها .

جلسنا في غرفة الضيوف بانتظار القائد الكردي وقيل لنا انه سيأتي بعد الافطار ، تذكرت اننا كنا في شهر رمضان .

حوالي الساعة الثامنة مساء دخل المغفور له : أبى ان ننهض له وكنا نحن الثلاثة في حيرة من امرنا حول طريقة مخاطبته ، قال ادعوني باسمي فأنا لا احب الالقاب وكان من المخجل ان ندعوه باسمه وهو الذي قاد اكثر من جيل في كفاح دام . كان يتحدث مع رئيس اتحاد طلبة كردستان في اوربا واذكر ان اسمه (دارا) وهناك مجلات اوربية تتحدث عن مجزرتي صوريا ودهكان اللتين وقعتا عام ١٩٦٩ او عام ١٩٧٠ ان لم اكن مخطئا . من الغريب ان الحديث عنهما لا يكاد يسمع ربما لان حلبجة غطت عليهما .

كان (دارا) يتحدث معه وكان الملا مصطفى ينظر الينا .. كان الحديث يجري باللغة الكردية .. اكتشف الملا من انتباهي انني افهم لغة الحديث فسألني ان كنت اعرف اللغة الكردية اجبته انني اعرف اللهجة البهدينانية وانني فهمت الحديث كله .. قال عرفت ذلك من ملامح وجهك .

كان الهدف من الزيارة اجراء مقابلة صحفية نشرت في جريدة الرسالة الموصلية وهي موجودة في المكتبة العامة في الموصل واتمنى لو يعاد نشرها الان .

كان بيان الحادي عشر من اذار يمر بتفاصيل واختلافات غير حادة وكان الملا يلوم العسكريين في قيادة النظام انذاك في طريقة رؤيتهم للمسألة الكردية وكان نقده منصبا على سعدون غيدان وحماد شهاب .

كان يتحدث بلغة عربية بليغة وكان يستعين بايات من القران بين حين واخر .. كان بسيطا كراع كردي وكانت بساطته اسرة وعميقة . قال : نريد ان نكون اكرادا كما خلقنا الله لا عراة ولا جوعى .

قال : انا اتجول في السفح وأتأمل خلق الله .. انظر الى شجرة او اجلس الى ينبوع .. انه الله في كل مكان . قلت له

انك صوفي اذن والصوفية لا تنسجم مع السياسة .

رد على الفور :

هل جلس النبي في داره ليصلي فقط ثم ذكر الاية : وأعدوا لهم ما استطعتم .. ألخ .

كنت ادخن فقال انه يريد ان يصنع (مشربا) لي وتناول غصنا يابسا ليحفره بعناية بالغة فقلت له سأكمل ذلك ، قال اكمله ان كنت تعرف ، وما ان بدأت الحفر حتى انكسر الغصن ، قال الملا :

هذه مشكلتنا : الذي لا يعرف امرا يقول بأنه يعرفه .. قلت : الحقيقة انني لم اجرب ذلك قبلا ولكني خجلت ان تتعب نفسك بذلك . تحول الحديث الصحفي الى احاديث متفرقة عن الزراعة والبنادق القديمة وكان يؤثر بندقية البرنو على غيرها ..

دام اللقاء اكثر من ست ساعات .. وشعرت بأنه كان مرتاحا معنا وسألنا ان كنا صائمين فسكتنا فقد كان احدنا صائما فقط ،قال انني اقصد من سؤالي تهيئة الفطور لكم في الغد واردف : لكم دينكم ولي دين .

قال : ناموا جيدا المكان هنا آمن من بغداد نفسها .. بتنا ليلتنا في تلك الغرفة الدافئة وفي صبيحة اليوم التالي كان المرحوم ادريس البارزاني يأخذنا عبر الطريق الجبلية الى الشارع العام وكنا نقول لبعضنا : القائد الحقيقي يجب ان يكون هكذا في خلقه وبساطته .. لقد احببته منذ ذلك اليوم ولم اكن اعلم انها فرصة تأريخية للقاء قائد تأريخي جليل كالبارزاني رحمه الله . وفي تموز عام ٢٠٠٣ وقفت امام تمثاله في دهوك وقلت: لمثل هؤلاء الرجال تكون التماثيل .

×اعلامي عراقي وسفير سابق

كان يتحدث بلغة عربية بليغة وكان يستعين بايات من القران بين حين واخر .. كان بسيطا كراع كردي وكانت بساطته اسرة وعميقة . قال : نريد ان نكون اكرادا كما خلقنا الله لا عراة ولا جوعى .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

البارزاني مصطفى صور من ذاكرة الطفولة

د. مؤيد عبد الستار

كان نهر الحياة يجري هادئا مثل جريان نهر دجلة القادم من جبال كردستان ليمنح الخير لسهول العراق و كنا اطفالا لانعرف الكثير مما يدور حولنا وما يحدث في عالمنا الكبير ، ولكننا كنا نعرف اننا كرد رغم وجودنا في بيئة عربية وسط العراق، فقد كان آباؤنا يتكلمون الكردية ، بينما ندرس نحن في المدراس العربية ، و نعيش في أحياء كردية في مدينة عربية.

كانت أحياء الكرد تنتشر وسط مدينة الكوت ، وقد عرفت باهلها الطيبين الكرماء ، الذين كان أغلبهم يعمل في الحرف اليدوية مثل الحياكة والحدادة والنجارة والدوشمة والصباغة ، ومنهم من لم يجد فرصة عمل فاستفاد من قوة عضلاته ليكسب لقمة عيشه بعرق جبينه ، كما استطاع البعض أن يشق طريقه في التعليم ليحصل على فرصة وظيفية في المدارس والدوائر الرسمية.

كانت خطواتنا الصغيرة تنتقل بنا من الصف الاول الى الثاني فالثالث في المدرسة، وما ان اقتربنا من انهاء المرحلة الابتدائية حتى هزت ثورة تموز ١٩٥٨ بحيرة المجتمع الهادئة ونفخت الروح في الاجساد الساكنة، لتعلن اجراس الثورة تغيير كل شيء في حياتنا. عرفنا انها تسمى ثورة، فالناس خرجوا على بكرة أبيهم في الشوارع يصرخون ويهتفون: يسقط النظام الملكي ، يسقط الاستعمار، عاشت الجمهورية العراقية....

وما ان انقضى عام من عمر الثورة أو يكاد حتى انتشر هتاف يمجد الاخوة العربية – الكردية ، وبدأنا نسمع النقاشات عن وضعنا الكردي ، بين الاهل والاقارب وامتد النقاش الى المدينة ، وجاء اليوم الذي انتشرت فيه صورة رجل مهيب الى جانب صورة الزعيم عبد الكريم قاسم ، صورة رجل يرتدي بزة عسكرية كتب تحتها الجنرال مصطفى البارزاني .

طبع أحد ستوديوهات التصوير في المدينة صورة القائد الكبير البارزاني ، فاحتلت معظم البيوت الكردية ، وبدأ الناس يتحدثون في مجالسهم عن ثورة برزان ، واخذوا يتناقلون القصص الثورية عن الصراع الذي دار بين الثورة الكردية والحكومة في العهد الملكي .

خلال تلك السنوات الاولى من ثورة تموز المجيدة بدأ مفهوم جديد يتشكل لدينا ، مفهوم كوننا كردا نعيش في العراق ، فنستمع من الكبار الى تاريخ شعبنا الكردي كردستان وامتنا الكردية، وبدأ نشاط الحزب الديمقراطي الكردستاني في مدينة الكوت ملحوظا ، وخلال السنوات الاولى تلك استطاع المعلمون الكرد تنظيم انفسهم وبمبادرة من الحزب الديمقراطي الكردستاني انعقد اول مؤتمر للمعلمين الكرد في شقلاوة شارك فيه وفد من مدينة الكوت، كان والدي أحد اعضاء ذلك الوفد ، فعاد بعدها لينقل لنا وللمدينة أنباء وآمال كردستان .

كان لانتكاسة الثورة و توالي الاحداث المأساوية وانطلاق الشرارة الاولى للثورة الكردية عام ١٩٦١ تأثير كبير في تغيير مسار ثورة تموز، فخيم جو من التشاؤم على الحياة السياسية في العراق ، وبدأ ابناء المدينة يتوجسون شرا من اجراءات السلطات وتضييق الخناق عليهم ، حتى تفاقمت الاحداث وجاء انقلاب ٨ شباط الاسود عام ١٩٦٣ م والذي كان كارثة على المدينة ، عرف فيها العرب و الكرد أبشع انواع التنكيل على يد مايدعى الحرس القومي .

كان لاشتداد الاجراءات الامنية أثره السيئ على الكرد الفيليين، ومع التعسف الذي كانوا يتعرضون له ، بقيت عيونهم شاخصة نحو جبال كردستان الشم ، وظل البارزاني الخالد نبراسا يتطلعون اليه ، وأملا يضئ لهم الطريق ، فالتحق العديد من الكرد الفيليين بالثورة الكردية، ولم تستطع سلطات البعث التي استخدمت سياسة الارض المحروقة في كردستان من تسجيل انتصار كبير على الثورة الكردية ، وكانت أنباء المعارك الشرسة ترد الى أبناء المدينة من شتى القنوات وخاصة المنشورات الصحفية الكردية .

استمرت صورة البارزاني تتوهج من خلال الانتصارات التي كان يحرزها البيشمركة الابطال مما ضطر الحكومات المتعاقبة الى دخول المفاوضات مع القيادة الكردية برئاسة البارزاني الخالد حتى أعلنت اتفاقية الحادي عشر من آذار عام ١٩٧١ م وكناحينذاك نعيش ببغداد ، فشهدنا الحدث الكبير، الاحتفال في ساحة التحرير الذي وقف فيه بشموخ القائدان مسعود البارزاني و الراحل ادريس البارزاني، فكان حضورهما على المنصة بملابسهما الكردية مثار اعتزاز كبير لدى الكرد ، وأذكر يوما كنت اسير مع زميل عربي في شارع الرشيد فتوقف أمام محل لبيع الصور والاطارات ، كان يقف أمام صورة البارزاني التي وضعها صاحب المحل في صدارة محله ، فسألته لماذا يطيل الوقوف ، فأجابني : أنظر الى صورة البارزاني البطل ، هذا الذي مرغ انف الحكومة بالوحل . كان مزهوا بشخص البارزاني .

ظلت صورة البارزاني تحتل مكانها ، ولكن سارت الامور عكس ما مخطط لها، فانقلب نظام البعث على اتفاقية آذار،و بدأ النظام يستفز الكرد الفيليين وأخذ يضيق الخناق عليهم وشدد من حملات تسفيرهم الى ايران على دفعات ، حتى اضطرت قيادة الثورة الكردية الى مفاتحة الجهات الحكومية بهذا الشأن دون جدوى ، ولما حصل نظام صدام المقبور على وعود شاه ايران في اتفاقية الجزائر المشؤومة

شجعت اتفاقية اذار الكرد ببغداد وغيرها من المدن على الاعراب عن مشاعرهم تجاه الثورة الكردية وقيادتها ، فعلق صاحب المقهى في شارع الكفاح صورة كبيرة للبارزاني في واجهة المقهى ، فكانت تثير العواطف الجياشة للكرد وتستفز الشوفينيين الذين كانت ترعبهم صورة البرزاني.

بعد اتفاقية الحادي عشر من اذار انتشرت صور البارزاني ببغداد وكان لصدور جريدة التآخي دور متميز في اشاعة الوعي القومي الكردي بين الكرد واصبحت الجريدة الاولى ببغداد وفاقت الصحف الحكومية في الانتشار ، فكان الناس يتلاقفونها بعد توزيعها مباشرة ، وحصلت على شعبية كبيرة وسط المثقفين ، وزاد من تعلق الكرد بالقائد البارزاني ترشيحه السياسي المعروف حبيب محمد كريم لمنصب نائب رئيس الجمهورية ، وهو الكردي الفيلي الذي طالما حاول الشوفينيون سلبه هويته والادعاء بانه جاء من وراء الحدود ، وهو ماتدحضه الوقائع التاريخية التي تثبت ان الكرد الفيليين يعيشون في موطنهم العراق وفي بلاد الرافدين منذ آلاف السنين ، وهم احفاد العيلاميين اصحاب اولى الحضارات السومرية، وقد قسمت بلادهم مثل بقية اجزاء كردستان بين العراق وايران وفق اتفاقيات دولية حديثة.

ظلت صورة البارزاني تحتل مكانها ، ولكن سارت الامور عكس ما مخطط لها، فانقلب نظام البعث على اتفاقية آذار،و بدأ النظام يستفز الكرد الفيليين وأخذ يضيق الخناق عليهم وشدد من حملات تسفيرهم الى ايران على دفعات ، حتى اضطرت قيادة الثورة الكردية الى مفاتحة الجهات الحكومية بهذا الشأن دون جدوى ، ولما حصل نظام صدام المقبور على وعود شاه ايران في اتفاقية الجزائر المشؤومة ، كشر النظام عن انيابه واساليبه الاجرامية ضد الكرد عامة، فاخذ يمارس اساليبه الاجرامية المعروفة للاقتصاص من الكرد ، فاوغل في عملية التهجير والانفال واستخدام الغازات الكيماوية والمقابر الجماعية ، وراح الالاف من شباب الكرد ضحايا للتجارب الكيماوية والبايولوجية.

ظل الكرد ينظرون الى القيادة الكردية والى القائد البارزاني نظرة الرائد الذي يأملون ان تتحقق على يديه حرية الشعب الكردي وظلوا يعتزون باسم البارزاني حتى انهم كانوا يقسمون برأسه اعتزازا بمكانته ، وكان الكرد الفيليون لايتوانون عن دعم الثورة الكردية وقيادة البارزاني بالغالي والنفيس ، وقد ذكر المؤرخ جرجيس فتح الله اهمية الدعم الذي قدمه الفيليون رغم ظروفهم الصعبة.

واليوم يشعر الكرد بالاعتزاز إذ تحقق النصر على الدكتاتورية البشعة ويشعر الفيليون باهمية المكاسب التي بدأت تثمر ، وان احلامهم لن تذهب سدى مادامو يهتدون بالمبادئ السامية التي حملها قائد الشعب الكردي الخالد

جريدة التآخي ٢٠٠٥

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

في ذكرى ميلاد البارزاني الخالد

د. بدرخان السندي

تمر هذه الايام ذكرى ميلاد قائد الامة الكوردية ورمزها بلا منازع البارزاني الخالد في ضمير الكورد بعد سفر طويل من النضال البطولي والاصرار المتواصل دون هوادة والذي تشهد له جبال كوردستان ووديانها ونهر اراس الذي اجتازه مع رجاله البسلاء في مسيرة الشرف الكبرى وهو يتحدى ثلاث دول كانت مصممة على اسره واعدامه مثلما اعدم القاضي محمد مؤسس (جمهورية كوردستان الديمقراطية في مهاباد) لكنه استطاع وببصيرته الثاقبة وتصميمه وعزمه ان يسلم من اعداء الكورد التقليديين وهو يجتاز اخطر مثلث سياسي وعسكري (ايران، تركيا، العراق) وباتجاه الاتحاد السوفيتي وكلما دققنا النظر في محتوى حياة البارزاني الخالد تراءت لنا خمس صور لا بل مراحل نضالية مهمة يمكن ان تمثل كل مرحلة من هذه المراحل فصلا رياديا في حركة النضال القومي الكوردي لانسان اتخذ من قضية شعبه وانقاذه مصيراً لا يحيد عنه مهما بلغت العواقب من قسوتها.

تتمثل المرحلة الاولى في تحديه للنظام الملكي وتتسم هذه المرحلة بالنضال الشاق فقد ابلى البارزاني الخالد بلاء حسنا امام تحشدات الجيش باسلحته الثقيلة وقصف طائرات القوة الجوية البريطانية لقرية بارزان وما حولها.

واما المرحلة الثانية فتمثل التحاق البارزاني الخالد مع رجاله الشوس بجمهورية مهاباد وقد اعجب مؤسس الجمهورية الكوردية ١٩٢٦ ببسالة البارزاني وفكره العسكري والستراتيجي وحظي باحترام كبير من مناضلي الجمهورية الكوردية الوليدة- مهاباد.

واما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة الاغتراب والعيش في الاتحاد السوفيتي لاجئا مع رجاله الشجعان وقد استطاع من خلال خلقه النبيل وشخصيته القويمة ان يفرض احترام المسؤولين السوفيت له.

والمرحلة الرابعة تتمثل بعودته من المنفى بعد اندلاع ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ واهل بغداد ما زالوا يذكرون يوم عودة البارزاني اذ ما من احتفال شهدته بغداد في تاريخها مثل الاحتفال الذي جرى بمناسبة وصول البارزاني الى بغداد.. لقد هرعت الناس من سائر محافظات العراق تعبر عن بهجتها اللامحدودة وفرحها العارم بعودة البارزاني الخالد من المنفى.

وقد حاول البارزاني كثيرا ان يحافظ على موازين الامور في عهد عبد الكريم قاسم مع مطالبته بحقوق شعبه الكوردي ولكن كما يبدو ان المغرضين ومن اضطربت مصالحهم بسبب عودة سيادته لم يهدأ لهم بال حتى اضرموا نار الشقاق بين بغداد وبارزان فاندلعت ثورة ايلول العظيمة بقيادة البارزاني تطالب بحقوق الشعب الكوردي مثلما تطالب بالديمقراطية لكل العراق.

واما المرحلة الخامسة فقد تمثلت بمرحلة الانسحاب الحكيم ووقاية الشعب الكوردي من خطر الابادة بعد ان اتفق الشاه وصدام على انهاء ثورة ايلول في اتفاقية الجزائر الجائرة بعد ان تنازل صدام حسين عن جزء من شط العرب هذا الجزء الذي كان يمثل حلما بالنسبة للشاه.

ان شعبنا الكوردي وكل احرار العالم يعرفون اليوم ان جبال كوردستان قد ضمت بين جنباتها اسطورة نضالية كبرى ومفخرة من مفاخر البطولة وانعتاق الشعوب وعيشها بكرامة.

ان حياة البارزاني الخالد درس طويل تعلمه الشعب الكوردي ولعدة اجيال وعلى مدى نصف قرن وعلى يد داعية حق لا يلين حتى غدا رمزا يقف الى جانب ارفع رموز العالم التي وهبت سني عمرها من اجل ان تحيا شعوبها.

اننا اذ نستذكر سفر حياة البارزاني في هذا اليوم الخالد من تاريخ شعبنا الكوردي، يوم ميلاده فاننا نتذكر كل القيم النضالية الرفيعة التي تمتع بها سيادته سواء في الحرب ام في السلم وستبقى قيمه الخالدة نبراسا لنا وللاجيال القادمة فالبارزاني الخالد مدرسة من مدارس الشعوب المناضلة ونهج ثوري وخلق قويم وقيم رفيعة.

المجد لليوم الذي ولد فيه البارزاني الخالد.

النصر المؤزر لشعبنا الكوردي وهو يحث الخطى على ذات الطريق... طريق البارزاني الخالد.

جريدة التآخي ٢٠٠٧

البارزاني الراحل والمرحوم حسين جميل والخنجر الهدية

ناظم الزهاوي

مع حسين جميل وعدد من الشخصيات العربية التي زارت كردستان عام ١٩٦٤

كنت أتشوق لزيارة الأستاذ الجليل والوطني القدير المحامي الكبير المرحوم حسين جميل، كنت كما هو غيري انبهر بأسلوبه المميز في الحديث سواء في السياسة أم الاجتماع أم التاريخ، خاصة التاريخ السياسي الحديث للعراق، حيث كان من الذين أسهموا في صنع بعض أحداثه المهمة بصفته أحد الأركان الثلاثة في الحزب الوطني الديمقراطي مع المرحومين كامل الجادرجي ومحمد حديد.

في إحدى الزيارات تطرق الحديث الى موضوع طالما كنت أود سماعه منه شخصياً، ذلك هو موضوع العفو الذي صدر بحق المرحوم الشيخ أحمد البارزاني ورفاقه البارزانيين الذين حكموا بالإعدام وبقوا قابعين في غرف الإعدام لمدة تقارب ثلاث سنوات في انتظار تنفيذ الحكم.

قال: كان ذلك أواخر عام ١٩٤٩ حينما أسندت لي حقيبة وزارة العدل في حكومة علي جودت الأيوبي وقمت بزيارة الى لواء الموصل للاطلاع على شؤون دوائر العدل هناك.

وفي تلك الزيارة علمت بوجود الشيخ أحمد البارزاني رحمه الله وثلاثة بارزانيين في السجن، وقد صدرت بحقهم عقوبة الإعدام قبل حوالي ثلاث سنوات أستأثر الموضوع باهتمامي وقررت السعي والعمل على إلغاء هذا الحكم الجائر، ولدى عودتي الى بغداد وكان عليّ الانتظار عدة أيام لمقابلة الوصي عبد الإله، حيث كان هناك يوم خاص لكل وزير لمقابلته للتباحث في شؤون وزارته، وطلبت من رئيس الديوان الملكي تقديم موعد الزيارة والتعجيل به لأمر مهم لم أفصح عنه، ولقد تم لي ذلك، ولدى مقابلتي الوصي عبد الإله شرحت له بإسهاب موضوع الشيخ احمد البارزاني ورفاقه موضحاً مدى قساوة الحكم الصادر بحقهم منذ ثلاث سنوات خلت والأقسى منه أنهم باتوا ينتظرون تنفيذ حكم الاعدام كل ليلة طوال تلك الفترة، فهم يعدمون كل يوم حتى وان لم ينفذ الحكم بحقهم، وان مبادئ العدل والقانون والاعتبارات الإنسانية تستوجب إلغاء هذا الحكم.

في البداية لم يستجب لطلبي قائلاً: ان هذا غير ممكن مطلقاً، ولكن رفضه لم يزدني إلا إصراراً ولم يثن عزيمتي بتكرار طلبي والإلحاح في ذلك، وأخيراً لم يجد بدا من الاستجابة والقبول إمام المبررات التي سقتها إليه.

ورأيت من الضروري الإسراع في تنفيذ أمر الإعفاء وطلبت منه إصدار إرادة ملكية بالعفو عنهم، وتم لي ذلك أيضاً ولم أغادره إلا وهي معي، فأسرعت الى ديوان وزارتي لتنفيذ الإرادة الملكية وعلى الفور قمت بإرسال نسخة منها الى دار الإذاعة لتبثه في مستهل الأخبار الداخلية والتي كانت تذاع الساعة الخامسة عصراً، مفوتاً الفرصة تماماً على بعض المغرضين والذين كنت أخشى تأثيرهم على الوصي لتغيير موقفه، وعند الساعة الخامسة تماماً بث القرار الذي أذهل وأدهش الكثيرين، بعدها بدقائق رن جرس الهاتف وكان المتحدث هو المرحوم احمد مختار بابان قائلاً: أبو علي.. كيف تمكنت من إقناع صاحب السمو؟ لقد بذلت قبلك جهوداً مضنية على مدى ثلاث سنوات لإقناعه ولم أفلح، وكلما انفردت بسموه كنت أعيد الكرة عليه ولكنه يفلح بلياقته في تغيير الموضوع.

فأجبته قائلاً: اقتنع بحكم القانون والعدل وبموجبها صدرت الارادة الملكية بالعفو والإفراج عنهم.. رحم الله أستاذنا حسين جميل الذي قام بعمل جبار احترم فيه القانون وروح العدالة.

وفي عام ١٩٦٤ زار كردستان وفد شعبي يضم وجوه المجتمع وشخصياته البارزة من بينهم المرحومون (حسين جميل وفائق السامرائي وعبد العزيز الدوري وفيصل حبيب الخيزران) وآخرون لمقابلة البارزاني في رانية والذي التقاهم مرحباً ومصافحاً، ولم يكتف بمصافحة المرحوم حسين جميل، بل احتضنه وعانقه شاكراً له ذلك الموقف النبيل تجاه أخيه الشيخ أحمد البارزاني ورفاقه وأهداه (خنجره الشخصي) الذي كان يحمله في حزامه تعبيراً عن الامتنان ورمزاً للوفاء وعرفانا للجميل.

لقد كان الراحل هو الآخر يعتز بالخنجر اعتزازاً كبيراً واحتفظ به وقبل رحيله بعام أودعه لدى حفيده السيد عمار عبد القادر الزهاوي الذي بدوره يعتز ويفتخر به لأن هذا الخنجر هدية زعيم الشعب الكردي وقائده المناضل الراحل مصطفى البارزاني للشخصية العراقية والعربية المرحوم حسين جميل رجل القانون والاعتدال السياسي البارز، ولدى انتهائي من كتابة هذا الموضوع عرضته على السيد عمار عبد القادر الزهاوي الذي نبهني الى نقطة مهمة سمعها من والده المناضل الكردي المعروف المرحوم المحامي عبد القادر الزهاوي مفادها «ان البارزاني لدى عودته من موسكو الى بغداد عام ١٩٥٨ كان من أوائل الذين قام بزيارتهم هو المرحوم حسين جميل في داره ببغداد».

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

البارزاني قائد وقضية

مصطفى ابراهيم

كتب الكثير عن هذا القائد العظيم وبمناسبة يوم رحيله لن أخوض في سيرته الحافلة بالبطولات والتضحيات والمنعطفات وهي بالمطلق إستثنائية قياسا بسيرة ومسيرة قادة حركات التحرر في العالم ، فربما بارزان ومهاباد ونهراراس وسنوات المنافي الطويلة أبلغ مني بالتوضيح والبيان. بيد أن ما لفت نظري وتختزنه ذاكرتي هو شهادة أحد الكتاب الكبار في الولايات المتحدة بعيد نكسة عام ١٩٧٥.)أن البارزاني هو غاريبالدي وليس غيفارا) رداً على بعض الانتقادات التي وجهت إليه ولنهجه في قيادة حركة التحرر الكوردية، وإثباتا لما ذهب إليه ذاك الكاتب الكبير والمنصف هي مؤهلاته الفريدة ونجاحه بامتياز بخلق وحدة وطنية صلبة بين كل أطياف ومكونات ومذاهب الشعب الكوردستاني والأنطلاق من تلك الأرضية لقيادة نضال شاق وكفاح مرير من أجل حرية الشعب الكوردي وقضيته العادلة في مناخ دولي بالغ التعقيد كان الصراع بين القوتين الأعظم لإقتسام مناطق النفوذ في العالم قد بلغ ذروته وعلى حساب حقوق ومصالح الشعوب المضطهدة وحقها في تقرير مصيرها والإنعتاق من طغيان الأنظمة الفاشية وخاصة في منطقة الشرق الأوسط حيث كوردستان تشكل عمودها الفقري.

فالبارزاني الخالد الكوردي القومية قد آمن بامكانية التعايش والتآخي بين الكورد والعرب والترك والفرس على قاعدة الإعتراف المتبادل والعيش المشترك بسلام ووئام والمساواة بالحقوق والواجبات. وهو المسلم الذي كان يصلي في المسجد إحترم الكنيسة وقساوستها ورعاياها و الايزدية وشيوخها وهو السني المذهب والنقشبندي الطريقة نجح في إقامة أوثق الوشائج والعلاقات مع الشيعة عموما ومرجعياتها الدينية (المرحوم آية الله الخميني وال الحكيم) خصوصا. اضف الى ذلك مؤهلاته الفائقة والفريدة بإتقان لغة العامل والفلاح والراعي وكبير القبيلة والطلبة والشباب والنخب السياسية في المدن على إختلاف إنتماءاتهم الفكرية والأيديولوجية حتى بات محط آمال وأحلام كل كوردي في جميع أجزاء كوردستان.

من نافلة القول أن القاعدة الثابتة في الحياة ومنطق التاريخ تجعل من الشعوب وأوطانها هوية لقادتها فالشعب الصيني والهندي شهادة تعريف لماوتسي تونغ والمهاتما غاندي بيد أن البارزاني كان في مرحلة معينة من تاريخ الشعب الكوردي وعلى وجه التحديد بعد إنهيار جمهورية مهاباد استثناء من تلك القاعدة وذاك القانون بحيث باتت الامة الكوردية وكوردستان تعرفان بالبارزاني من خلال شخصيته الاسطورية مما جعله بمثابة هوية الكوردي داخل كوردستان المسلوبة وجواز سفره خارج الوطن . ويقينا لاقى الكثيرون مثلي المعاناة والصعوبة بتقديم نفسه والتعريف بقوميته دون ذكر اسم البارزاني أولاً خاصة إذا كان المخاطب أجنبيا غربيا. لا أريد أن أعيش ويموت شعبي . بهذه العبارات البسيطة والبليغة في ان واحد والتي رددها البارزاني على مسامع أحد مراسلي الصحافة الأجنبية لدى تقديمه كمامة للاتقاء من الغازات السامة والتي كانت الحكومة العراقية تنوي إستخدامها في عام ١٩٧٤ فقد ربط مصيره بمصير شعبه حياة وفناءً وباتت حرية الشعب الكوردي وقضيته العادلة بمثابة قضاء وقدر له لا مفر منه ولا تراجع عنه. ولا شك ان مقولته تلك هي أبلغ اثراً بمعانيها ومدلولاتها من المقولة السائدة في تلك الحقبة التاريخية

(الثائر أول من يشقى وآخر من يسعد) وإنصافا للحقيقة فإن الشعب الكوردي بأسره وفي جميع أجزاء كوردستان بادلته هذه المعادلة الجدلية والقدرية فكان البارزاني الخالد قدره ومحط آماله وأحلامه في جميع المراحل والمنعطفات انتصاراً كان أو إنتكاسة فلا غرابة أن تودعه تلك الجماهير الغفيرة يوم رحيله وأن تتداخل وتختلط الدموع والحسرات بالهتافات والزغاريد وأن تجعل من يوم وفاته عيداً لميلاده.

اليأس والإحباط والركون التام للهزيمة والقبول بنتائجها وتداعياتها مفردات خلت من قاموس البارزاني النضالي ومسيرته الكفاحية على مدى عدة عقود من الزمن فكان يعتبر كل نكسة بمثابة كبوة فارس وإستراحة محارب فمن بارزان الى المنفى ومن المنفى الى بارزان ثانية والى مهاباد والى المنافي البعيدة تارة اخرى بعد مسيرة قلت نظيرتها في المسار والمحيط والظروف ليعود بعد طول غياب بطلا إسطوريا لقيادة أكبر وأشمل ثورة تحررية في التاريخ الكوردي وكأني به يجسد المثل الألماني الشهير (ليس الفخر أن لا نسقط ابدا إنما الفخر أن ننهض كلما سقطنا).

كركوك قلب كوردستان باتت هذه العبارة التي أطلقها القائد الخالد في وجه الوفد العراقي المفاوض إبان توقيع إتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ من المفردات المقدسة لدى كل أبناء الشعب الكوردستاني ومن المحرمات التي لا يجوز ولا يحق لكائن من كان التفريط بها أو المساومة عليها وفي هذا السياق يستحق الرئيس مسعود البارزاني منا جميعا كل التقدير والعرفان على موقفه القومي المسؤول كقائد لمسيرة نضال الشعب الكوردي بالرفض المطلق وتحت أي ظرف كان بالمساومة على قلب الكورد وقلب كوردستان.

في العشرين من آذار عام ١٩٧٥ واثر مؤامرة الجزائر المشؤومة التي طعنت ثورة أيلول المجيدة في الظهر والقلب معا وقف قائدنا العظيم بكل شموخ وعنفوان قائلا) :إنني وحدي أتحمل كامل المسؤولية أمام شعبي وعن ما لحق به وبثورته).

فرغم أنه ضحى بالكثير من سمعته ورصيده الا أن هذا القرار والموقف هما من مقومات القادة العظام ،(فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم) فالهزيمة تولد دائما لقيطة يبحث لها عن أب بينما الإنتصار له ألف أب كما شاهدنا ولمسنا إبان إنجاز إتفاقية ١١ آذار . وربما كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر هو الوحيد من بين قادة المنطقة الذي إتخذ هذا الموقف الشجاع في أعقاب هزيمة جيشه أمام اسرائيل في حزيران عام ١٩٦٧.

حسب إعتقادي وتصوري المتواضعين بان الحاسة السادسة وإستشراف افاق المستقبل وتداعيات الاحداث كانت من اقوى حواسه فقوله بعد انهيار ثورة أيلول بان أياما سود تنتظر الشعب الكوردي فإن مأساة حلبجة الشهيدة وعمليات الأنفال البربرية وإبادة آلاف البارزانيين وحملات الترحيل القسرية وتدمير الحجر والشجر في كوردستان هي من أكثر المحطات سوادا ومأساوية في تاريخ الشعب الكوردي.

عود على بدء كما اشرت في المقدمة دأب البعض من الكورد خاصة بالبحث والتنقيب كعالم آثار في طيات تاريخ هذا القائد الإنسان عساه يعثر على ثغرة هنا أو هفوة في مكان ما حيال قضية معينة او موقف محدد متجاهلين أن هذا النوع من القادة هم عظماء حتى في أخطائهم وهفواتهم فالعظمة والكمال لله وحده ولكني أجد ان قول الشاعر الجواهري بحق الزعيم جمال عبد الناصر:

لا يعصم المجد الرجال وإنما
كان عظيم المجد والاخطاء

ينطبق على البارزاني الخالد الى حد كبير.

تشرفت بلقاء البارزاني الخالد آواخر الشهر العاشر من عام ١٩٧٢ بعد إلقاء نظرة على المكان والموقع الذي تعرض فيه لمحاولة الاغتيال الآثمة والمعروفة بمؤامرة الملالي وإطلاعي من سيادته على تفاصيلها ومراحل وادوات تنفيذها والعوامل التي اسهمت في نجاته منها نظرت الى هامته الشامخة شموخ جبال كوردستان بأعصاب متوترة وحواس مشدودة ورددت بعفوية بالغة قول الشاعر:

وقفت وما في الموت شك لواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

وفي التاسع والعشرين من حزيران عام ٢٠٠١ دخلت كوردستان مع أولادي وأحفادي فرغم أنها كانت محررة فيها البرلمان والمؤسسات الحكومية وعليها يرفرف علم كوردستان إلا أنني رأيتها حزينة على فقدان فارسها وبطلها لذا آليت على نفسي ألا أقابل أحداً أو القيام بأي عمل قبل زيارة ضريحه وقراءة الفاتحة على جثمانه الطاهر فقبره البسيط والمتواضع الذي لا يختلف قيد شعرة عن قبر أي شهيد من بيشمركته الميامين أوحى لي مرة أخرى وأخرى بإنه كان عظيماً في حياته ولكنه أعظم في مماته لذا إستحق منصب القائد وجسد القضية بجدارة وإمتياز.

ملف عن ذكرى ميلاد البارزاني
موقع كلكامش الالكتروني

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

عبد الناصر والبارزاني علاقة كان هدفها مقاومة المستعمر

البارزاني وعبد الناصر

د.إبراهيم خليل العلاف

قامت ثورة ١٤ تموز ونجحت وقام عبد الناصر بإعلان اعترافه بالنظام الجديد ودعمه للثوار ووضع كل إمكانات الجمهورية العربية المتحدة لخدمة العراق .. وفيما يتعلق بموقفه من الأكراد فان الرئيس جمال عبد الناصر كان على معرفة تامة بالقضية الكردية وملابساتها وموقف الحكومات العراقية المتعاقبة منها وقد أكد في أول اتصال رسمي رأيه في أن القومية العربية لايمكن أن تتعارض مع القومية الكردية طالما كان هدفهما هو مقاومة الأحلاف والسياسة الغربية وحين علم بان قادة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ قد رحبوا بعودة الملا مصطفى البارزاني رئيس الحزب الديموقراطي الكردستاني من منفاه وجماعته من الاتحاد السوفيتي حرص على الالتقاء به والتأكيد له بأنه يدعم القضية الكردية ويحث الحكومة العراقية على حلها حلا سلميا ديموقراطيا ، وقد بنى عبد الناصر موقفه هذا على أساس معرفته الدقيقة بحق كل شعب أن يعيش حرا في وطنه وضمن أمته ، وكان يعرف أن الأكراد الذين يعيشون في الوطن العربي لهم ما لإخوانهم العرب خاصة وان هناك الكثير من الروابط التاريخية والكفاحية بينهما عبر مراحل التاريخ المختلفة .. ولم تكن مواقف الأكراد من نضال مصر ودفاعها عن مصالحها الوطنية والقومية وخاصة بعد تأميمها قناة السويس في تشرين الأول ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي البريطاني –الفرنسي –الإسرائيلي الأثيم عليها غائبة عنه .. وقد تعرض العديد من قادة الأكراد للاعتقال والسجن في العراق لوقوفهم بجانب مصر وتنظيمهم التظاهرات شأنهم شأن إخوانهم العرب في مختلف المدن الكردية . لذلك ترسخ في أذهان أولئك القادة الرغبة العارمة بالاتصال بعبد الناصر وتوحيد وتنسيق المواقف النضالية المشتركة معه خاصة بعد بروزه قائدا بارزا من قادة نضال الشعوب المستعبدة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية في تلك المرحلة المهمة من التاريخ .

غادر الملا مصطفى البارزاني موسكو في الحادي والثلاثين من آب/أغسطس ١٩٥٨ متوجها إلى رومانيا يرافقه زميلاه مير حاج احمد واسعد خوشقي ومن بوخارست أرسل بواسطة سفارة الجمهورية العربية المتحدة برقية إلى قادة الثورة والزعيم الركن عبد الكريم قاسم يهنئهم فيها بانتصار الثورة . وقد رد قاسم على البرقية في الثاني من أيلول/سبتمبر ١٩٥٨ بقوله ((أننا نرحب بعودتكم جميعا إلى العراق العزيز ، وقد اتخذنا جميع الإجراءات لإصدار العفو وتسهيل سفركم)) . وقد دعاه قاسم إلى مراجعة سفارة الجمهورية العربية المتحدة في براغ بجيكوسلوفاكيا (آنذاك) لتأمين عودته وزميليه . وفي اليوم ذاته أبرقت وزارة الخارجية العراقية إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في براغ لتسهيل عودة البارزاني. ويشير الأستاذ مسعود البارزاني في كتابه (البارزاني والحركة التحررية الكردية) إلى أن الحزب الديموقراطي الكردستاني شكل وفدا للسفر إلى براغ لمرافقة البارزاني في العودة إلى الوطن وضم الوفد كلا من إبراهيم احمد ، نوري احمد طه ، صادق البارزاني ، عبيد الله البارزاني ، والتحق بالوفد صالح ميران في القاهرة .

غادر البارزاني براغ في نهاية شهر أيلول ١٩٥٨ متوجها إلى القاهرة واستقبله الرئيس جمال عبد الناصر بحفاوة بالغة في منزله ، ((ووضع البارزاني ، كما يقول الأستاذ مسعود في ذلك اللقاء لبنة العلاقة التاريخية مع رائد الحركة القومية العربية)) . وقد نقلت وسائل الإعلام في القاهرة تصريحا للرئيس عبد الناصر اثر لقائه بالملا مصطفى البارزاني قال فيه: ((من حق الأكراد التمتع بحقوقهم المشروعة ضمن إطار الدولة العراقية ،وتبعا ضمن إطار الوحدة العربية الأوسع. ذلك لان للعرب عدوا خطيرا واحدا يهدد مستقبلهم وأمنهم ومصادر ثروتهم وهو إسرائيل وان عليهم أن يوجهوا قواهم العسكرية وموارادهم الاقتصادية كافة لدرء هذا الخطر)) .

ليست لدينا وثائق واضحة عن طبيعة ما جرى من حديث بين الرئيس جمال عبد الناصر والملا مصطفى البارزاني إلا أن ثمة وثائق بريطانية أمريكية تشير إلى بعض ما دار في ذلك اللقاء وقد علق الأستاذ مسعود على ذلك بقوله ((إن مرور البارزاني بالقاهرة في طريق عودته إلى الوطن ولقائه مع الرئيس جمال عبد الناصر يؤكد ترحيب الجمهورية العربية المتحدة بالبارزاني وبعودته)) .

جاء في تقرير كتبه السفير البريطاني في بغداد السير مايكل رايت النصف دوري المؤرخ في ٢٢ أيلول ١٩٥٨ ولغاية ٧ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٥٨ ((إن الملا مصطفى البارزاني عاد مساء يوم ٦ تشرين الأول ١٩٥٨ إلى العراق بعد زيارته السابقة للرئيس ناصر في القاهرة وكان هناك جمهور كبير في المطار لاستقباله مع جماعته)) . ونقل عن صديق شنشل وزير الإرشاد (الأعلام) سام فول السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد في تقريره المرقم ١٠١٣/١٦٦٥٨ والمؤرخ في تشرين الأول ١٩٥٨ قول شنشل لفول في منزله : ((حول موضوع الكرد لم يعبر (شنشل) عن قلقه ويعتقد بأنهم سيتعاونون مع الحكومة العراقية ، ودافع عن قرار عودة الملا مصطفى البارزاني ومرة أخرى كان يعتقد بأنه لا يخلق المشاكل وكان يعتقد بأنه كان من الصعب عدم السماح للاجئ من هذا النوع بالعودة إلى وطنه ، وان مثل هذا القرار كان سيخلق عدم الرضى بين الكرد ...)) .

أما السفارة الأمريكية في القاهرة ، فقد وصفت لقاء البارزاني مع الرئيس جمال عبد الناصر في برقيتها إلى واشنطن المؤرخة في ٧ تشرين الأول ١٩٥٨ على النحو التالي : ((وصل الى القاهرة من براغ في ٣ تشرين الأول الملا مصطفى البارزاني ومعه ستة أكراد آخرين كانوا معه في المنفى في طريق عودتهم إلى العراق واستقبلهم ناصر في اليوم التالي ...قال البارزاني كيف أن الكرد اللاجئين في المنفى علموا بالثورة المصرية (ثورة تموز يوليو / تموز ١٩٥٢) ، اذ كانت روحا بعثت فيهم الحياة . وكان شعورنا ، يقول البارزاني ، كشعور أي عربي ، إن مشكلتنا مع الإمبريالية والفساد نفس الشيء ، واعتبرنا الثورة المصرية نصرا مجيدا لكافة الشعب العربي في الشرقين الادنى والأوسط ، وان قاهرة الثورة هي مركز الإشعاع لشعوب الشرق الأوسط ، وتتذكر قلوبنا كل كلمة للرئيس عبد الناصر ، وكان صوته إشارة للنصر ، وقد تحققت آمالنا عندما وقعت الثورة ...)) .

استمر دعم الرئيس جمال عبد الناصر لقيادة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي ٢٠ تموز ١٩٥٨ تم توقيع اتفاقية للتعاون بين العراق والجمهورية العربية المتحدة وأعلن عبد الناصر عن استعداد الجمهورية العربية المتحدة لتزويد العراق بجميع الأسلحة اللازمة وأوعز لقيادة الجيش الأول في سوريا لتلبية طلبات العراق من الأسلحة والخبراء والأساتذة ((حتى وان أدى ذلك إلى عرقلة سير العمل في الجمهورية العربية المتحدة)) كما وافق على أن تمثل بلاده العراق في الأقطار التي لا توجد فيها ممثلية عراقية ، لكن الصراع بين قادة الثورة وخاصة بين الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع ونائبه العقيد الركن عبد السلام محمد عارف أدى إلى التفاف القوميين حول عارف والتفاف الشيوعيين والديموقراطيين حول قاسم وأدى ذلك إلى إعلان العقيد عبد الوهاب الشواف يوم ٨ آذار/مارس ١٩٥٩ الحركة المسلحة في الموصل وكان من نتائج هذه الحركة أن ساءت العلاقات بين العراق والجمهورية العربية المتحدة بعد اتهام الحكومة العراقية لسلطات الجمهورية العربية المتحدة ولعبد الناصر بدعم حركة الشواف وتزويده بالأسلحة والإذاعة والمعدات .. وقد أشار الأستاذ محمد حديد في مذكراته إلى ان أحد نشطاء الحزب الوطني الديموقراطي في الموصل وهو هاشم عباوي قد اعتقل بعد فشل حركة الشواف بتهمة تهريب أسلحة من سوريا وتزويد الأكراد بها مما يدل على أن عبد الناصر دعم الحركة الكردية المسلحة التي اندلعت في أيلول ١٩٦١ باعتبارها موجهة ضد عبد الكريم قاسم وحكمه . ويبدو أن عشائر شمر القاطنة في أراض على الحدود العراقية –السورية كانت تقوم بتسهيل انتقال تلك الأسلحة إلى الأكراد نكاية بعبد الكريم قاسم . وقد أكد عبد اللطيف البغدادي وهو نائب الرئيس عبد الناصر حصول اتصالات بين قادة الشواف وسلطات الجمهورية العربية المتحدة في سوريا كما أكد دعم عبد الناصر لما تحتاجه الحركة من سلاح وإذاعة وما شاكل .

لقد عكست جريدة خه بات (النضال) لسان حال الحزب الديموقراطي الكردستاني فيما بعد طبيعة النضال العربي الكردي المشترك ضد الاستعمار والصهيونية عندما كتبت في عددها الصادر في اليوم الأول من شهر كانون الثاني/يناير ١٩٦١ تقول ((أن الأكراد يعدون أنفسهم شركاء للعرب في السراء والضراء ، ويعتبرون كل نصر تحرزه الأمة العربية انتصارا لهم ، لذا فان التضامن العربي ضد الاستعمار والرجعية والصهيونية ، ومن اجل تحقيق جميع الأهداف المشروعة للامة العربية المجيدة ضرورة قومية يجمع عليها الشعب العراقي بقوميتيه العربية والكردية)).

وتفاقم الأمر بعد اندلاع الحركة الكردية المسلحة في أيلول ١٩٦١ ، واحتضنت القاهرة كثيرا من اللاجئين العراقيين الذين أسسوا ما عرف بـ(التجمع القومي) في مصر وضم التجمع ممثلين عن معظم الأحزاب العراقية وكان للأكراد حصة في هذا التجمع إذ مثلهم آنذاك شوكت عقراوي ومن هذه الأحزاب حزب الاستقلال والرابطة القومية والحزب العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب والحزب الإسلامي والإخوان المسلمون والقوميون المستقلون . وقد تمتع اللاجئون العراقيون كما يقول الأستاذ جمال مصطفى مردان في كتابه (عبد

الناصر والعراق) بحقوق اللجوء السياسي الكامل وبالرواتب المجزية وبالتعليم المجاني لأولادهم وبالعلاج على نفقة الدولة وقد ظلت القضية الكردية حاضرة في فكر ونضال عبد الناصر ، ويعد الاتصال الذي جرى بالرئيس عبد الناصر من قبل وفد كردي ضم اللواء عارف والسيد جلال الطالباني بداية لتحديد موقف ناصري واضح للقضية الكردية وخاصة إبان محادثات الوحدة الثلاثية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة في نيسان/أبريل ١٩٦٣ .

يقول الأستاذ أمين هويدي في كتابه الشهير (كنت سفيرا في العراق)انه على الرغم من البيان الذي أصدره القادة الجدد في بغداد في آذار /مارس ١٩٦٣ حول المشكلة الكردية وأشادوا فيه بالروابط الأخوية بين الشعبين العربي والكردي أكدوا ضرورة تطبيق المشاركة بين جميع المواطنين في الوطن لضمان حقوق الأكراد ،إلا أن الملا مصطفى البارزاني طالب بتطبيق الحكم الذاتي في كردستان العراق ،وحدد موعدا نهائيا للحكومة يوم ٧ آذار لتنفيذ ذلك .ويضيف هويدي قائلا : انه تسلم رسائل من ((الملا مصطفى البارزاني في ذلك الوقت ،بواسطة صالح اليوسفي وشوكت عقراوي من أعضاء الحزب الديموقراطي الكردي يطلب فيها تدخل الرئيس عبد الناصر لحسم الموقف)) .وقد أرسلت الحكومة في بغداد وفدين إلى شمال البلاد لتطمين الأكراد أحدهما رسمي برئاسة طاهر يحيى رئيس أركان الجيش والآخر شعبي وكان فيه كل من السياسيين العراقيين المعروفين حسين جميل من الحزب الوطني الديموقراطي وفائق السامرائي من حزب الاستقلال .

بعد حركة آذار ١٩٦٣ في سوريا توصلت القيادتان السياسيتان في العراق وسوريا إلى قرار مهم وهو الاستجابة لارادة الجماهير في تحقيق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ،فبدأت مباحثات الوحدة الثلاثية وعلى مراحل الأولى من ١٤- ١٧ آذار ١٩٦٣ والثانية من ١٩ -٢٠ آذار والثالثة من ٧-١٧ نيسان ١٩٦٣ وانتهت بتوقيع ما عرف بميثاق ١٧ نيسان /مايو ١٩٦٣ وقد تطرق الرئيس عبد الناصر إلى الأكراد ودعا الحكومة العراقية الى تسوية المشكلة من خلال الاعتراف بالحقوق القومية للأكراد وقد أكد بان الأكراد ليسوا شعبا دخيلا على الوطن العربي وانما هم شعب عريق وأصيل .وقد سبق للرئيس عبد الناصر ان سمح بإنشاء إذاعة تبث باللغة الكردية من القاهرة سنة ١٩٥٩ ولم تتوقف هذه الإذاعة إلا في سنة ١٩٦٤ بطلب من الحكومة العراقية في عهد الرئيس عبد السلام عارف .وعندما استجاب عبد الناصر لطلب عبد السلام عارف إرسال قوات عربية مصرية إلى العراق في النصف الثاني من شهر كانون الأول ١٩٦٣ لتامين الوضع في العراق والتأثير في الأوضاع السياسية في سوريا وافق الرئيس عبد الناصر على الطلب وارسل قوات بحجم لواءين ((شريطة عدم اشتراكهما في قتال الأكراد)) .

لقد بين الرئيس عبد الناصر في مقابلة مع ايريك رو لو مراسل جريدة لوموند الفرنسية في كانون الأول ١٩٦٣ ان الأكراد شعب شقيق للعرب ويحق لهم أن يتمتعوا بحقهم كغيرهم من الشعوب في ممارسة نوع من الحكم الذاتي ، و أعلن معارضته للقتال كأسلوب لحل القضية الكردية وفي الوقت نفسه اظهر معاداته للانفصالية .كما قال ((إن الحرب الكردية القائمة اليوم في جزء من الوطن العربي (يقصد العراق) ،انما هي إضعاف للجبهة ضد إسرائيل)) . ويروي الأستاذ جلال الطالباني في كتابه (كردستان والحركة التحررية القومية الكردية) انه التقى الرئيس جمال عبد الناصر مع السيد شوكت عقرواي في العراق سنة ١٩٦٣ فافصح له عبد الناصر عن رأيه بان الحل السلمي للمسألة الكردية في نظره هو الحل الذي مارسته الدول الاشتراكية وعندما سأله الطالباني عن مفهومه للحل العلمي أجابه الرئيس عبد الناصر ((بأنه يعني حق تقرير المصير الذي سيستعمله الشعب الكردي حتما بشكل

جاء في تقرير كتبه السفير البريطاني في بغداد السير مايكل رايت النصف دوري المؤرخ في ٢٢ أيلول ١٩٥٨ ولغاية ٧ تشرين الأول / اكتوبر ١٩٥٨ ((إن الملا مصطفى البارزاني عاد مساء يوم ٦ تشرين الأول ١٩٥٨ إلى العراق بعد زيارته السابقة للرئيس ناصر في القاهرة وكان هناك جمهور كبير في المطار لاستقباله مع جماعته)) . ونقل عن صديق شنشل وزير الإرشاد (الأعلام) سام فول السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد في تقريره المرقم ١٠١٣/١٦٦٥٨ والمؤرخ في تشرين الأول ١٩٥٨

اتحادي مع أشقائه العرب)) . والواقع أن الرئيس عبد الناصر حتى وفاته في ايلول ١٩٧٠ بقي متمسكا بسياسته تلك ، وكان حريصا على الدوام على الاخوة العربية - الكردية وعلى وجوب تعزيزها وتمتينها وتجنب كل ما يسيء إليها أو يضعفها . وكان يدعو باستمرار إلى التلاحم الكفاحي العربي الكردي ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية .

ويضيف الطالباني الى ذلك قوله : ((كان ينبهني كثيرا من خلال أحاديثنا إلى ضرورة تجنب المزالق التي تؤدي إلى وقوع القومية الكردية في صف الرجعية والتحالف مع الغرب)) و ((حذرني مرارا طالبا نقل رأيه إلى جميع قادة الحركة الكردية وخاصة السيد الملا مصطفى البارزاني ، ألا ننخدع بوعود (الغرب المعسولة) ولا مزاعم التأييد من قبل الأوساط الإمبريالية والصهيونية لان المسألة ليست إلا شراكا تنصب لإيقاع القومية الكردية في أحابيلها وذلك ضد مصلحتها الحقيقة ولتشويه سمعتها وتحوير محتواها)) .

ويقول الطالباني كذلك ((ولا ننسى أبدا النصائح الأخوية الثمينة التي أسداها لي الرئيس عبد الناصر في بداية حزيران/يونيو ١٩٦٣ حينما قابلته في القاهرة .. فقد نصحني بتوضيح أمرين اثنين للامة العربية أولهما إن الحركة القومية الكردية تعادي الانفصالية ولا تروم تقطيع العراق بل هي تصر على الاتحاد مع القومية العربية ، وعلى صيانة الوحدة الوطنية للشعب العراقي ، وان القومية الكردية لاتعادي الوحدة العربية بل تعتبر ها حقا طبيعيا لشقيقتها الأمة العربية . أما الأمر الثاني فهو أن الأكراد هم شعب أصيل يسكنون بلادهم كردستان منذ آلاف السنين ، فهم ليسوا شعبا طارئا .. وهم ليسوا معادين للعرب بل اخوة لهم ..)) .

وخلال سني القتال التي أعقبت الاتصال بالرئيس جمال عبد الناصر ظلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة على موقف ودي من الأكراد ، فعندما تجدد القتال بين الأكراد والحكومة المركزية ببغداد سنة ١٩٦٣ أعلنت القاهرة معارضتها القتال كأسلوب لحل القضية الكردية ودعا الرئيس عبد الناصر اكثر من مرة إلى إيقاف القتال والشروع في محادثات سلمية لحل القضية الكردية،وقد تعرض الرئيس عبد الناصر لانتقاد شديد من الحكومة العراقية وخاصة بعد حركة شباط /فبراير ١٩٦٣ بسبب موقفه من الاكراد وقضيتهم وعدم كبح جماح وسائل الاعلام (المصرية)التي كانت تطلق على المسلحين الاكراد تعبير (الثوار)وارسل وزير الدفاع انذاك في ١٧ تموز ١٩٦٣ برقية الى جميع الوحدات العسكرية اعرب فيها عن اسفه لان جريدة الاهرام القاهرية تظهر (التمرد)الكردي في شمال البلاد كثورة كردية وقال ان هذا يأتي ونحن ((قطر من اقطار الوحدة الاتحادية)) وفي ١٢ حزيران /يونيو ١٩٦٣ ظهرت جريدة الطليعة البغدادية وفي صفحتها الاولى خبر منقول من اذاعة القاهرة (القسم الكردي) ،نسبت فيه الى هذه الاذاعة تأييدها للجانب الكردي ضد الجانب الرسمي العراقي في اذاعة لها يوم ١١ حزيران ١٩٦٣ وقد اشار السفير المصري امين هويدي الى انه تلقى خطابا شخصيا من السيد طالب شبيب وزير الخارجية مساء يوم ١٣ حزيران ١٩٦٣ جاء فيه ((لقد كان مؤسفا حقا ما نشر في الصحف عن إذاعة القاهرة الكردية .. ولقد كان نفي الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإرشاد (المصري)للخبر وقعه الحسن في نفوس الكثيرين وكم كان بودي ان يكون النفي اكثر وضوحا ليتفهم الشعب العربي في العراق حقيقة موقف الشقيقة العربية الكبرى)) وقد أكد امين هويدي في رده على خطاب وزير الخارجية العراقي نفي القاهرة لما رددته الصحيفة العراقية وقال هويدي ان موقف الجمهورية العربية المتحدة من القضية الكردية واضح وضوحا كاملا لكل الأطراف ((لانفصال مع اعتراف بالقومية الكردية ضمن الدولة (العراقية)،وعدم اتخاذ الحرب وسيلة لحل الخلافات)) .وبالرغم من كل هذه التوضيحات فقد ساءت العلاقات بين بغداد والقاهرة وكان من نتائج ذلك تجميد العمل بميثاق ١٧ نيسان /ابريل ١٩٦٣ واستئناف القتال في الشمال .وقد ذكر امين هويدي ان ((رسائل الملا مصطفى كانت تصل الينا باستمرار تطلب تدخل القاهرة لمعالجة الموقف ،الا ان القاهرة لم تكن بقادرة على تهدئة الموقف وسط الجهود المحمومة للطرفين لاستئناف القتال ولتمسك كل طرف بموقفه)).

لقد اقتربت مواقف التنظيمات والأحزاب الناصرية في العراق إزاء الأكراد والقضية الكردية من موقف الرئيس وبدون شك فان هذا الموقف النبيل والواضح والمبدئي هو الذي جعل الأكراد ويجعلهم باستمرار يذكرون عبد الناصر ليس على انه زعيم لدولة وإنما قائدا تاريخي كان له دوره الفاعل في دعم نضال الشعوب وحقها في الحرية والحياة الكريمة، ومن هنا يحق لهم أن يحتفلوا بذكراه ويعمدوا إلى تكريمه في الوقت الذي عدوه قرينا للقائد ملا مصطفى البارزاني حيث كان الاثنان يسعيان لهدف واحد هو تحرير الشعوب المضطهدة ومقاومة الاستعمار وبناء اوطان ديمقراطية.

لقد ربطت هذه الافكار بين الزعيم جمال عبد الناصر والزعيم البارزاني فكان ان عمل عبد الناصر لدعم الحركة الكردية في المقابل ساند الاكراد نضال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

مصطفى البارزاني مع نجله الراحل ادريس

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

لقاءاتي بالقائد الأب مصطفى البارزاني

العلم والمعرفة مفتاح التحرر والتقدم

د. خالد يونس خالد

مقدمة تسبق أحلام اللقاء

لستُ هنا بصدد كتابة تاريخ القائد الأب مصطفى البارزاني، فقد كُتب عنه الكثير الكثير، ولذلك فإنني لا أريد أن أردد ماكتبه الآخرون عن إنسانيته وشجاعته ورجولته وقيادته، إنما أنا بصدد كتابة ذكريات لا تبرح خيالي. ذكريات عاشت معي منذ الشباب، وعشتُ معها في ذاكرة التاريخ. وكم حاولت أن أجد ملجأ لهذه الذكريات، لكنها أبت إلاّ أن تراودني بين الحين والآخر. وكم عانتْ نفسي أن أحتفظ بها لذاتي، وأتسلى بها لراحتي، بل أسجنها في مخيلتي لكنني وجدتها تثور في جوارحي، وتأبى إلاّ أن ترى النور. وفي غمرة هذا العناد وهذا التحدي وهذا الإلحاح في عقلي وهذا التمرد في قلبي دفعني أن أعترف بقوتها، وتمردها لكي تتحرر إلى النور.

لا يوجد كردي واحد في عموم كردستان لم يسمع بالبارزاني الخالد. فقد كان أحد أولئك القادة العظام الذين كتبوا التاريخ الكردي، وخاض معارك الحياة، وعانى الكثير من المآسي من أجل شعبه، وبدأ يخطط مشروع الكورديه تي في زمن كانت القضية الكردية نبتة صغيرة بحاجة إلى عناية، فرعاها البارزاني ورواها بعرقه ودمائه وراحته وجهده وكده لئلا تموت، ولكي تكبر وتعيش وتثمر. فالفضل الأول يعود له حين بدأ يسير بخطى حذرة، ولكن حثيثة على الدرب الطويل، درب كردستان العظيم.

كثير من الشباب الكرد كانوا يحلمون أن يجدوه عن بعد وعن قرب، وكنت واحدا منهم. التقيتُه قبل ثلاثة وثلاثين عاما، وأنا أتمتع بالحيوية والنشاط في عنفوان الشباب، بعد أن تخرجت في كلية القانون والسياسة بجامعة بغداد، محكوما عليّ بالإعدام من قبل نظام البعث الصدامي بسبب نشاطاتي السياسية، باعتباري أحد أولئك الذين انخرطوا في مسيرة البارزاني منذ أن كنتُ طالبا في الجامعة. والتحقت بالحركة التحررية الكردية تاركا الزمالة التي حصلت عليها في السوربون باعتباري كنت أحد الطلبة المتفوقين في الدراسة. آثرت أن أكون كادرا في مدرسة الشعب لأتعلم من الشعب تحت قيادة ذلك البارزاني الثائر الذي أبى أن يستسلم، وقرر أن يكون في المقدمة، بعد أن إختاره الشعب كله قائدا وزعيما لتلك الحركة الرائدة التي بدأت في الأربعينيات، واستراحت، ثم تجددت في أوائل الستينيات، وتعرضت لانتصارات ومؤامرات آذار بين النصر عام ١٩٧٠، والمؤامرة عام ١٩٧٥. وقد عشت بالذات هذه الفترة بين الدراسة الأكاديمية في بغداد والعمل السياسي والثوري في الثورة الكردية، وفي كلتا الحالتين تحت قيادة القائد الذي طالما حلمت أن ألتقيه به يوما. فوجدت نفسي في صفوف الثورة وأنا أحمل معي ذلك الحلم الكبير.

اللقاء الأول

ترك البارزاني الأب ذكريات فريدة في ذاكرتي بلا إنتهاء. كنتُ أكاديميا شابا متحمسا للقائه. التقيته، فوجدت نفسي تلميذا أمام ذلك المعلم الذي تعلمت منه في أول لقاء دروسا مبرمجة في خدمة الشعب والوطن. وشعرتُ بأنني تلميذ أحتاج أن أتعلم من جديد دروسا إضافية في فنون النضال الوطني التحرري والكورديه تي من قائد الثورة ومرشد النضال الديمقراطي.

تجربتي مع الراحل الخالد في ثلاثة لقاءات في كردستان وخارجها، جعلتني أشعر باحترامي لتراث ذلك الإنسان العظيم الذي علمني العمل من أجل حرية الشعب. تعلمت منذ ذلك الحين أن الوفاء للشعب الكردي هو وفاء للبارزاني أيضا، وأن الإخلاص لتراثه هو إخلاص لذلك النضال الذي ناضله طوال سنين عمره التي ضحاها من أجلي ومن أجلكم ومن أجل كل كردي مخلص. فكل من التقى سيادته يوما، وتعلم منه درسا يشعر أنه تلميذ مدرسته الرائدة التي تخرجَت فيها آلاف الكوادر العاشقة للحرية والكرامة. وفهمتُ لتوي بأنه من الصعب على تلاميذه المخلصين أن يتمردوا على خدمة الشعب الكردي وحقوقه.

إنه البارزاني الخالد قائد الشعب الكردي لمدة نصف قرن من تاريخ الأمة الكردية المعاصرة. اقترنت الحركة التحررية الوطنية الديمقراطية الكردية بإسمه منذ العشرينيات من القرن العشرين. ومازال النور ينبعث من الشعلة التي أوقدها لمواصلة المسيرة الطويلة على الطريق الذي سار عليه لتحقيق الحرية والاستقلال للشعب الكردي.

وصلنا مقر الرئيس الخالد، وأخبَرنا بعض حراسه المقربين بضرورة التحدث معه بلا ألقاب، مثل "ماموستا" أو "رئيس" أو ما شابه، لأنه لا يحب الألقاب. شعرنا للتو أننا سنقابل إنسانا أعظم من الألقاب، وقائدا أكبر من الرؤساء. كان الأب مسرورا حين التقينا سيادته، حيث تكرَّم علينا نجله النشط الذي كان شابا يافعا، مسعود البارزاني بمصاحبتنا، إلى باب غرفته، وقال له بثقة واحترام: "أبي! هؤلاء يمكن التحدث إليهم".

استقبَلَنا الأب بعطف وإكرام كما يستقبل كل أب حنون ابناءه الذين يشتاقون للقائه. واستغربنا كثيرا من بساطته المليئة بالبهاء والجلال والوقار. واستطاع بكرمه أن يدخل قلوبنا، لا خوفا منه، إنما محبة له ووفاء لقيادته. فاحترام القائد المفعم بمحبة أعظم من إحترامه خوفا منه.

كان سيادته جالسا على كرسي لايختلف أبدا عن تلك الكراسي التي جلسنا عليها أنا وزملائي. مهيب الطلعة يحمل كثيرا من الأسرار في مخيلته، وكثيرا من الحب الفياض في قلبه الكبير لشعبه الذي أحبه بلا حدود. يتحدث وعيناه ينبعث منهما شعاع أزلي يدخل القلوب ليؤثر فيها. وحاجباه الكثيفان المتلئان بالشعر يحتضنان تحت كل شعرة مأساة من مآسي الشعب الكردي كله.

كان يعرف كيف يتحدث على قدرعقول الذين يتحدث معهم. وكان يفهم بجلاء نفسية الإنسان الذي ينظر إليه بعينيه المتوقدتين نظرات تحمل سهاما تصيب القلوب قبل الجلود، يؤثر على السامع الذي يجد نفسه مهيأ للسماع إليه بكل جوارحه. إنها كلمات تدخل القلب لتسكن فيه.

فرّح البارزاني كثيرا حين أخبرناه بأننا استطعنا أن نهيئ دورة خاصة لحماية أمن المواطنين بنجاح. فرسم على وجهه المهيب إبتسامة الرضى وقال: "الحمد للّه. الحمد للّه الذي أعان شعبنا على يقود دورات ثقافية بنفسه". وأضاف: "أطلب منكم يا أبنائي أن تؤكدوا على العلم والمعرفة والثقافة لانها مفتاح التحرر والتقدم".

تحدث لنا عن نابليون بونابرت وتاريخ أوربا والثورة الفرنسية. فشعرنا بأننا أمام معلم ملم بالفكر السياسي الأوربي. كان يفهم بوضوح الأهداف التي ناضل من أجلها، وعن المرحلة التي كانت يمر بها نضال الشعب الكردي الذي كان يقوده. أكد على حقوق الشعب الكردي وضرورة نيل هذه الحقوق التي تتبلور وتتطور كلما قدم الشعب الكردي تضحيات أكثر، وكلما ازداد تعنت النظام العراقي. وشدّد على أن الاعتراف بحقنا في الحرية والديمقراطية يقوي وحدة الأراضي العراقية وتقدم العراق وأمنه. هذا الطرح الذي طرحه البارزاني الخالد في السبعينيات كان حضاريا، وتعبيرا عن الوعي الاجتماعي من أجل الحرية والسلام للكرد والعرب والأقليات.

وشدّد البارزاني مصطفى في مقولته الخالدة: "كلما ناضلنا أكثر، واستغرق وقتا أطول، تزداد حقوقنا، وتترسخ تلك الحقوق في نواتنا لكي نتمسك بها ونحققها. فإيماننا بالله لا يتزحزح، وسننتصر إن شاء الله، لأن الشعب معنا، ولأن أملنا في الشعب الكردي كبير والله المستعان".

حكمة البارزاني
اللقاء الثاني

يفكر كل كردي بما تعرض له رئيس الشعب ورمز الأمة من مؤامرات ومحاولات اغتيال. وكان أول هذه المحاولات في ٢٩ سبتمبر/أيلول عام ١٩٧١، والمحاولة الثانية في ١٦ يوليو/تموز عام ١٩٧٢، ونجا من المحاولتين بأعجوبة. ومع ذلك كان قائد الشعب الكردي يفكر بمستقبل شعبه، دون أن يفسخ الاتفاقية التي عقدت بينه وبين صدام حسين في ١١ مارس/آذار عام ١٩٧٠، حتى لا يعطي ذريعة للنظام بضرب القضية الكردية، وحتى لا تستغل الأوساط المعادية للشعب الكردي من أن البارزاني لم يكن جديا في السلام.

كنا مجموعة من أساتذة معهد الكوادر العائد للثورة الكردية، التقينا سيادته عام ١٩٧٤ في حاجي عمران، وأخبرناه عن طريقة تدريبنا وتدريسنا للكوادر الذين تخرجوا في المعهد. شعر بالغبطة الكبيرة، وقال بإعتزاز: "إعلموا يا أبنائي أن المال لايصنع الشرف، ولا يقول أحد أن فلان شريف لأنه غني. المسؤولية الوطنية والنضال الوطني الديمقراطي من أجل الحرية والكرامة تحفظ لنا الشرف". وقال بوقار وبنفس مليئة بالثقة والاطمئنان، هذه القصة الرائعة: "طلب مني رئيس الوزراء العراقي الأسبق في العهد البائد نوري السعيد أن أكف عن النضال، وعرض علي وعلى أبنائي المال الكثير والقصور والوظائف العالية فرفضتُ ذلك قطعا. واستغرب الرجل نوري السعيد متسائلا لماذا يا بارزاني؟ فجاوبته بلا تردد وبشكل حاسم: للإنسان شيئان عزيزان، الشرف والحياة. فإما أن يضحي الإنسان بحياته من أجل شرفه أو ان يضحي بشرفه من أجل حياته. وأنا أضحي بحياتي من أجل شرفي، لأنه لا حياة بلا شرف، فالشرف باق والحياة فانية، وشرفي هو كرامة الشعب الكردي".

فما أعظم هذا الإنسان الذي يعطينا أجلى أيات الكرامة والفداء والتضحية بعيدا عن الماديات لنفسه، انه معلم يعي كيف يوجه الكوادر والعامة نحو النور.

ولنا في البارزاني الراحل دروسا في الإنسان الواثق بنفسه إلى درجة خارقة حين قال: "أنا فلاح مع الفلاح الذي يعمل في حقله ليُعيل عائلته بشرف ونزاهة، وأنا عامل مع العامل في معمله لينتج ويعيش حرا. لكنني مَلك مع الملوك ورئيس مع الرؤساء ولن أخضع لأي ظالم أومعتد".

تحدث عن أهمية العدل في الحكم، وتحدث كيف ينتصف للمظلوم من الظالم حتى إذا كان من ذوي القربى. وهنا أنقل حادثة فريدة كيف أن البارزاني يأخذ العدل نبراسا في حكمه؟ وكيف أنه كان يساوي بين الحاكم والمحكوم في المعاملات؟ وكيف كان يقتص من الظالم للمظلوم؟

حدث مرة أن اشتكى بيشمه ركه كردي عند البارزاني الخالد من أن مسؤوله الأعلى ضربه بالسياط دون سبب وجيه. فأمر البارزاني الخالد أن يُحضِرَ ذلك المسؤول، وحدد موعدا للقاء به وبالبيشمركه المظلوم. وفي ساعة اللقاء، سأل البارزاني ذلك المسؤول عن أسباب ظلمه لذلك البيشمه ركه، وتبين أنه اعتدى عليه. فوضع البارزاني العصا بيد البيشمه ركه وطلب منه أن يضرب مسؤوله الذي ظلمه بنفس الطريقة التي تعامل معه المسؤول بها. تردد البيشمركة أن يفعل، ولكن البارزاني أصر على أن يأخذ المظلوم حقه من الظالم في مجلسه ذاك.

ماذا يمكننا أن نأخذ من دروس في هذه التجربة الفريدة؟ إنها وسيلة من وسائل التعليم المنهجي لكل كردي يشعر أنه مكَرَم في بيته الكردستاني، وأنه المناضل في ساحات التضحية ليحتفظ بكرامته. وأنه قبل ذلك ليس في مرتبة أدنى من المسؤول في ساحات الوغى. إنه عضو كامل النمو في المجتمع تماما كالذي هو أكبر منه أو أقل منه. أنه لا أكبر ولا أقل من مناضل كردي آخر. مدرسة يقودها البارزاني الخالد، لا من أجل أن يحصل على شهادة التخرج، بل من أجل ان يتعلم فيها ويُعَلم الآخرين ويتعامل مع الأجيال ماشاء الله تعالى أن يفعل.

كان يتألم حين كان يتحدث عن الإنشقاقات التي حدثت في صفوف الحزب، وتحدث بمرارة عن أولئك الذين يحملون السلاح ضد الشعب الكردي. لكنه أثبت بجدارة عن تسامحه وقدرته على العفو عند المقدرة، فانتهز فرصة العفو عن جميع الذين وقفوا ضده وضد الثورة الكردية بعد إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠. وسمح لهم بالمساهمة في البناء الديمقراطي. وهو بهذا أثبت بأنه

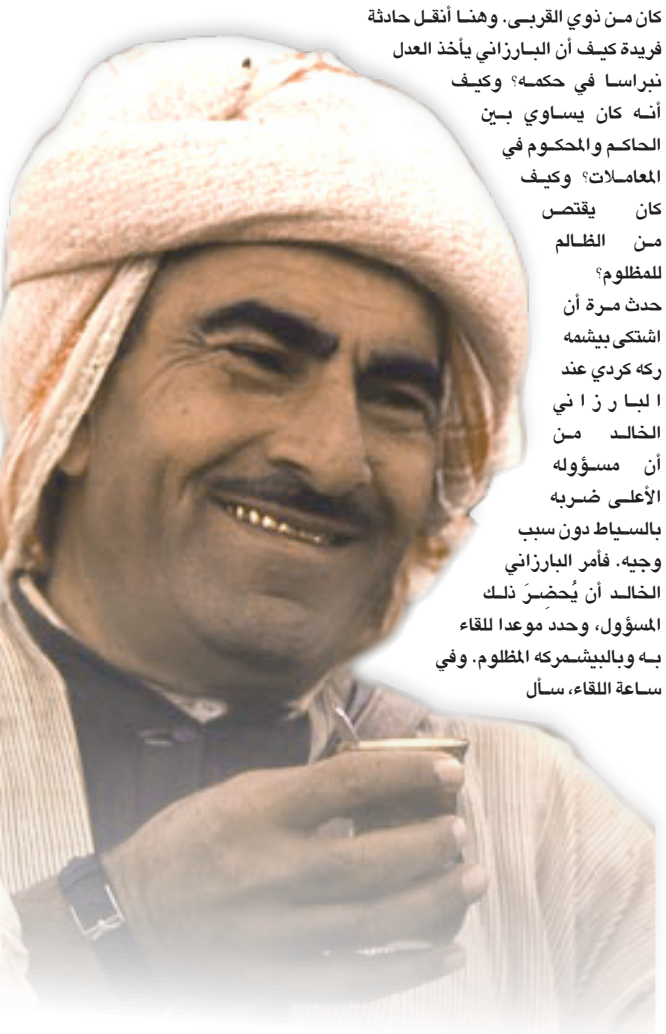

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

أب الكرد بلا منازع.

كان الراحل متسامحا يحمل في أعماقه أسمى الأخلاق الأنسانية، مؤمنا أشد الإيمان باللّه، وبحق الإنسان في الحياة الحرة الكريمة. حديثه شائق وجدي، يعرف أن الكلمة مسؤولية، وهو يدعم كلامه بالآيات القرآنية الكريمة. إنها صفات القائد الإنسان الذي لم يعرف الحقد على أي كردي معبرا بذلك عن كرامة الإنسان بمنتهى درجات العظمة الإنسانية.

الراحل مصطفى البارزاني ذلك الصرح الشامخ الذي رفع راية الكورايه تى عالية بقلبه وفكره وعمله، ودخل قلوب الجماهير لتحتضنه وتحبه ماشاء الله تعالى أن تدوم الحياة، فسارت الجماهير الكردستانية تحت تلك الراية منذ أكثر من نصف قرن من الزمان. حملها الأب، ويحملها الذين من بعده، ويحملها الشعب الكردي كله، وتحميها الأفئدة والأنفس، وتدافع عنها الجوارح والأرواح.

إرادة البارزاني الصامدة وآلام المؤامرة
اللقاء الثالث

كان لقانا الثالث في خيمة متواضعة بمدينة نغدة الكردستانية الإيرانية بعد مؤامرة إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥. زرتُه برفقة الأخ شكيب عقراوي عضو اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني. تحدث البارزاني الأب بعقل متفتح ودهاء يعبران عن قدرته الكبيرة في فهم الرجال والأحداث. سأل عن وضع الأستاذ المرحوم صالح اليوسفي الذي رجع إلى العراق بموافقة البارزاني لأنه رفض أن يبقى في إيران، بعد خيانة الشاه الإيراني لوعوده التي وعدها للكرد. تحدث الرئيس الراحل البارزاني عن إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ التي لم يلتزم بها نظام صدام حسين، قائلا:

"بعد الإتفاقية التي أقرّت بالحكم الذاتي للشعب الكردي بنضاله الدؤوب، قلتُ لأعضاء اللجنة المركزية: إعلموا أن الوضع الآن أخطر من قبل، فقد كنا سابقا نجد الطائرات والمدافع تقصفنا، أما اليوم فستقع علينا القنابل دون أن نراها ، لذلك يجب أن نكون حذرين جدا، والا نقع في شباك النظام. فلا تستهينوا ولا تقولوا أن حقوقنا قد تحققت وانتهى كل شئ. يجب أن نكون متيقظين أكثر من أي وقت مضى لمعرفة نوايا النظام". وقال: "أثبتنا للعالم أننا كنا نقف مع حق الأخوة العرب في محنتهم عدة مرات. ففي حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ بعثنا ببرقية إلى الرئيس العراقي الأسبق عبد الرحمن عارف معلنين فيها عن مساندة الكرد للعرب في حقوقهم، وطالبْنا بانسحاب القطعات العراقية من كردستان للدفاع عن الأراضي العراقية والحقوق الفلسطينية العربية، وعاهدناهم بان لا تطلق القوات الكردية النارعليهم طيلة بقائهم في المواجهة مع أعدائهم. وأيدنا العرب أيضاً أثناء دخولهم الحرب مع إسرائيل عام ١٩٧٣. وأرسلنا ببرقية إلى احمد حسن البكر معلنين فيها عن وقف إطلاق النار في كردستان، ووقفْ كافة العمليات الحربية ضد قوات النظام العراقي لكي تتمكن تلك القوات من التفرغ لحماية فلسطين، كما أرسلنا ببرقية مماثلة في نفس اليوم للرئيس جمال عبد الناصر. لكن صدام حسين خان الإتفاقية التي إتفقنا عليها عام ١٩٧٠، وتآمر على قتلي عدة مرات. لقد كان بإمكان الكرد أن يعاقبوه أثناء زيارته لكردستان بإسقاط طائرته لكنهم لم يفعلوا. لأن الأخلاق الكردية لا تقبل الخيانة".

إنه البارزاني الذي ما دخل بيتا إلا وكان للكرد مصلحة فيه، وما خطا خطوة إلاّ وكان فيها للكرد نصيب من الحرية. ترك لنا تراثا ما أن نقتديه إلاّ ولنا فيه مجد وكرامة. إنه النور الذي نحمله في نفوسنا لنسير على الدرب الطويل، درب أمنا الكبرى كردستان.

كان يتحدث والحزن مرسوم على وجهه الذي كان يحمل آلام الشعب الكردي كله. وللتاريخ أقول، ولتكن هذه الشهادة للتاريخ، فالكلمة مسؤولية، ولا أقول هذه الكلمة اعتباطا بل عن مسؤولية كاملة ومتكاملة وعن قناعة، أن البارزاني الأب لم يخن شعبه الكردي أبدا، وأنه لم يتخاذل ولم ينهزم، ولم يوقف الثورة بارادته، ولم يستسلم. فأنا أتذكر كل همسة قالها الراحل العظيم في ذلك اللقاء، حين قال، وأنا في ديوانه المتواضع تحت تلك الخيمة المتواضعة، والألم يحز قلوبنا جميعا فيما حدث من نكسة أيام المؤامرة:

"سنظل نناضل، وكلما ناضلنا أكثر فإن حقوقنا ستزداد أكثر حتى نحقق النصر لأن نضالنا مشروع، ولأن حركتنا إنسانية تحررية أخلاقية لمصلحة العراق كله. وإن نظام صدام حسين سيقهر وسينهزم لأنه لا يعرف العهد ولا يعرف الأخلاق".

وقال: "إننا مع الديمقراطية والسلام، ولكننا لانستسلم. لقد نجحَتْ المؤامرة، وانسحبنا من المعركة لأسباب استراتيجية، لكننا لم ننسحب من الثورة. سنرجع إلى الوطن ونناضل بعزيمة أقوى إن شاء الله".

كان الراحل البارزاني أعظم إنسان على الإطلاق التقيت به طوال حياتي، ترك في نفسي انطباعا مازال فريدا يحتل مركز قلبي وبؤرة نفسي، وأنا عاجز أن أنساه. إنه سيبقى محبة على الشفاه وفي القلوب أكثر من أن يكون صورة على الجدران، لأنه المعلم الأب. من يجهل تاريخه الذي عرَّف العالم المعاصر بقضيتنا المقترنة بإسمه؟ فعندما توجهنا إلى أوربا قبل مايقارب الثلاثين عاما، والأوربيون يسألوننا من أين أتيتم؟ فنقول من كردستان. فيجاوبوننا: بارزاني بارزاني.

جميع الذين تهجموا على البارزاني الخالد لم يكونوا منصفين في مواقفهم. وأثبت التاريخ عدم صحة تهجمهم، فتراجعوا عن أخطائهم. وقد تعرض الرئيس الرمز، كما يتعرض كل رئيس رمز دون استثناء إلى النقد. وهذا النقد مَردّه ذلك المركز المرموق لقائد احتل موقعا فريدا في تاريخ شعبه.

فالتهجم مرفوض، لكن النقد العقلاني، غير التهجم، كان لمصلحة البارزاني نفسه، لأن ذلك النقد يبين مواطن الحقيقة من الأسطورة، وصحة ما يتردد على ألسن الناس عن إنسان عظيم كان يعتبر آخر العمالقة الكرد في القرن العشرين.

المأثرة العظيمة للإنسان الذي لُقب بأب الكرد هي حفاظه على وحدة القضية الكردية ووحدة الزعامة. وإذا تطرقنا إلى مسألة مبادئ وقواعد الوطنية في العراق نجد أن الوطنية ليست ملكا مشاعا تخص نظاما معينا أو رئيسا عراقيا معينا، بل هي الإخلاص والوفاء تجاه الوطن والمحافظة عليه، وخدمة الشعب، وتوفير الحرية، ومحافظة ثروات الوطن من الأجنبي، والاعتراف بحق المواطنة للجميع، لأن مسألة القومية هي مسالة وطنية وديمقراطية وإنسانية ولا يمكن أن تحل إلا عن طريق الديمقراطية والمساواة والعدالة وليست عن طريق استخدام الأسلحة الكيمياوية وحملات الأنفال.

إنه البارزاني الذي ما دخل بيتا إلاّ وكان للكرد مصلحة فيه، وما خطا خطوة إلاّ وكان فيها للكرد نصيب من الحرية. ترك لنا تراثا ما أن نقتديه إلاّ ولنا فيه مجد وكرامة. إنه النور الذي نحمله في نفوسنا لنسير على الدرب الطويل، درب أمنا الكبرى كردستان.

إنه البارزاني الذي ولد في ١٤ مارس ١٩٠٣ بقرية بارزان وعرف قيمة الحرية في الثالثة من عمره منذ أن دخل سجن الموصل مع والدته عام ١٩٠٦. إنه بحق أبو الثورات الكردية المعاصرة، إشترك في كافة المعارك الكبيرة ضد الأنظمة التي تضطهد الشعب الكردي، وساهم في جميع الانتفاضات التي فجرت في كردستان. إنه مرشد فكر الكورداية تي في القرن العشرين، ومخطط الحركة التحررية الديمقراطية الكردية في القرن الذي نعيشه. وإن ما نعيشه اليوم من حرية في كردستان هي جزء من نتاج تلك العقلية الفذة والخطط القيمة التي ساهم فيها البارزاني الخالد في مسيرة الحركة التحررية الكردية.

إنه البارزاني الذي وافته المنية في ١/ ٣/ ١٩٧٩ ونُقل جثمانه الطاهر إلى إيران ليوارى الثرى في قرية شنو الكردستانية، وبحضور آلاف الناس من مختلف مناطق العالم لتوديع القائد الذي ناضل من اجل حرية واستقلال شعبه.

إنه البارزاني الذي أبت القلوب إلاّ أن يكون الراحل بينهم، فنُقلَ مرقده الطاهر إلى كردستان العراق عام ١٩٩١ حيث دُفنَ في مسقط رأسه بارزان في وسط حشد جماهيري كبير لم يسبق له مثيل، تاركا وراءه نبراسا منيرا وتراثا مضيئا ونهجا وطنيا ديمقراطيا، ومدرسة لها تلاميذها ومناضليها الأوفياء لقيادته وللكورداية تي. إنه سيبقى حيا في الأفكار، وذكرى في الأفئدة، ورمزا للأحرار، ومحبة تُضفي بالعطر لكل أطفال وأبناء كردستان من عشاق الحرية في كل مكان. إليك أيها القائد الإنسان محبتي وحبي بلا إنتهاء .

عن موقع كلكامش
ملف خاص عن البارزاني

في ذكرى البارزاني الخالد

د. منذر الفضل

تحتفل الشعوب الحية التي تناضل من أجل الحياة الحرة الكريمة بمناسبات مهمة وتاريخية لها دلالات كبيرة في نفوسها ، تذكرها بالتضحيات وبدور الحركة التحررية في مقاومة الطغيان والظلم ، وبالنسبة للكورد ، كشعب عريق ، عاش على أرضه (كوردستان) منذ ألاف السنين وقدم قوافل من الضحايا من البيشمركة الابطال ومن المدنيين الأبرياء الذين إرتوت أرض كوردستان ومختلف مناطق العراق بدمائهم الزكية من أجل الحرية ولم تتمكن جميع الأنظمة الدكتاتورية من هزيمة هذا الشعب العظيم .

وليس هناك أدنى شك في ان هناك فرقا كبيرا بين الرمز الوطني والقومي في حياة الشعوب والامم لوحدة صفوفها وقيادتها نحو تحقيق تطلعاتها المشروعة وتثبيت حقوقها ، وبين عبادة الشخصية او الصنم في الأنظمة الدكتاتورية او ذات الحزب الواحد او الصنم الأوحد كما هو الحال في كثير من انظمة الحكم الشمولية. غير ان الشعوب الحية لابد ان تحترم قادتها ورموزها الوطنية والقومية وتحيي المناسبات التي تثمن دور القادة في حياة الشعوب ، وبالنسبة للشعب الكوردي الذي انطلقت حركته التحررية منذ مطلع القرن العشرين – اي قبل بداية تاسيس الدولة العراقية – من خلال ثورة الشيخ محمود الحفيد وما اعقبها من ثورة الشيخ عبد السلام والشيخ احمد البارزاني ومن ثم ثورة القائد الملا مصطفى البارزاني في ايلول عام ١٩٦١ الذي عد من أشهر القادة الكورد واصلبهم في مقاومة الدكتاتورية وفي قيادة الشعب الكوردي نحو اهدافه القومية المشروعة من خلال نضال طويل وشاق بحكمته وصبره الذي أذهل العدو قبل الصديق .

واليوم نحتفل بهذه المناسبة وهي مرور ١٠٧ اعوام على ميلاد هذا القائد التاريخي مصطفى البارزاني الذي هو رمز كبير من رموز الامة الكوردية وشخصية وطنية مهمة من شخصيات حركات التحرر في العالم والبارزاني كان الزعيم القوميّ الكورديّ البارز في تاريخ الحركة التحررية الكوردية وهو رئيس الحزب الديموقراطي الكردستاني منذ عام ١٩٤٦ حتى تاريخ وفاته عام ١٩٧٩ . وعندما توقف قلبه في ١ مارس ١٩٧٩ في مستشفى جورج تاون في واشنطن رثته الملايين من الكورد و الآخرون من اصدقاء الكورد والمحبين للشعب الكوردي . ولهذا ستبقى ذكراه حيّة في قلوب كلّ الكورد الذين يساندون الأهداف النبيلة التي ناضل من اجلها وقدم التضحيات الكثيرة للوصول اليها و جاهد من أجلها طوال حياته . ولذلك سيبقى مصطفى البارزاني شخصيّة كورديّة – عراقية فذّة في تاريخ الشّعب الكورديّ أولا و سيبقى مصدر الإلهام و المثل للشبابّ الكورد وهو الذي يلقب بالأسطورة الجبلية.

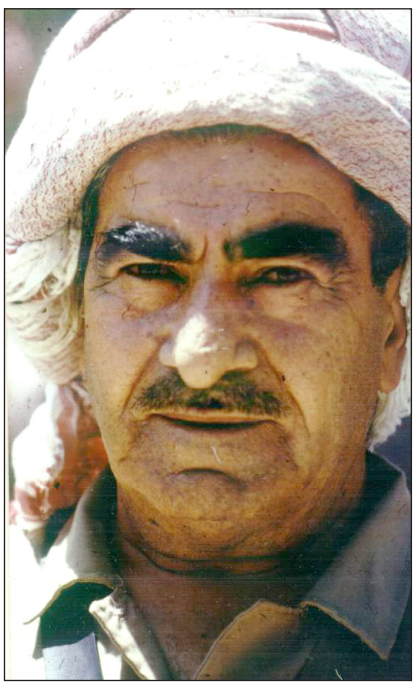

لقد وصفت العديد من الشخصيات التي قابلت البارزاني الخالد او سمعت عنه بأوصاف الشخصيات العظيمة فهو عزيز النفس ، شديد التواضع ،كريم الطبع ، ومتسامح يتمتع بشخصية جذابة يحترمها الجميع ويحب الضيوف ويكرمهم انسجاما مع التقاليد العشائرية للكورد وهو يفكر دائما بقضية شعبه من منطلق الحكمة والصبر والثقة بالنفس وكان يرفض الألقاب مثل الزعيم الأوحد او الاستاذ او غيرها من الاوصاف لأنه زعيم شعب وقائد أمة وثائر وقد انعكست هذه الشخصية وصفاتها على أولاده وأحفاده.

والبارزاني – رحمه الله – كان يرفض سياسة العنف والتطرف ولم يقبل بأي عمل ارهابي ولا يقبل اي تصرف يدل على الغدر مثل الاغتيالات السياسية التي لم تمارس طوال فترة النضال للحركة التحررية الكوردية ولهذا فقد قال عنه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كلمات مثيرة تليق بمقامه حين قابله في القاهرة كما كان يتمتع باحترام الزعيم عبد الكريم قاسم وقال عنه الرئيس حسني مبارك انه رجل عظيم يستحق القراءه عنه. تحية للبارزاني الخالد ولمنهجه من أجل الحرية للشعوب تحية للبيشمركة الابطال من الشهداء والاحياء تحية لجميع ضحايا النظام الدكتاتوري والمجد والخلود لهم.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

أسئلة وأجوبة حول البارزاني

محمد الملا عبد الكريم

المقدمة

قبل سنوات لا أتذكر بالتحديد أي سنة كانت ولكنها على أي حال كانت قبل ثلاث سنوات أو أربع زارنا في دارنا شخص لم أكن أعرفه من قبل عرفني بنفسه على أن اسمه سعد الهموندي وأنه من سكنه أربيل وهو الآن – أي عندما زارنا في دارنا- يعيش في السويد وإن أباه معلم متقاعد بل أنه أعطاني عنوان منزل والده ولكنه ضاع مني، قال هذا الأخ: إنه ينوي تأليف كتاب عن شخصية المرحوم مصطفى البارزاني ينبني أساساً على مجموعة من الأسئلة والأجوبة يجريها مع أشخاص من الكرد لكل منهم نظرته الخاصة به، وكان هذا الأخ قد قابل عدداً من المثقفين الكرد في بغداد وكان قد وجه أسئلة الى كل واحد منهم وقد زار بغداد لهذا الغرض أكثر من مرة وقابل أشخاصاً وعاد الى أربيل، وكنت أنا واحداً من الذين زارهم ووجه إليهم الأسئلة، وقد وجه إليّ هذه الأسئلة التي أدونها في هذه الصفحات مع أجوبتها.

السؤال الأول:

من هو البارزاني، وكيف في رأي ومن وجهة نظر السيد محمد الملا عبد الكريم؟

– البارزاني زعيم ذاع صيته في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٠ –١٩٨٠ كقائد ثوري للحركة التحررية للشعب الكردي في كردستان الجنوبية بشطريها الشرقي والغربي وطوال أعوام ١٩٤٣ –١٩٧٥ من هذه الفترة، وعلى وجه العموم على الدوام على شفاه المتحدثين عن الكرد وكردستان والمسائل الكردية من المحللين ومحرري الأخبار والمذيعين والإذاعات وعلى صفحات الصحف والمجلات بوصفه رمزاً لنضال الشعب الكردي في هذا الجزء من كردستان وفي القسم الشرقي منه بدرجة اقل وفي قسمه الغربي بدرجة أكثر، إضافة الى جماهير الشعب الكردي نفسه وعموم المواطنين الكردستانيين، ولم يظهر بعد صلاح الدين الأيوبي وحتى يومنا هذا قائد على هذا المستوى ذاع اسمه بين الشعب الكردي على النطاق العالمي، لذلك فأني اعتقد ان اسم الملا مصطفى البارزاني سيظل خالداً الى الأبد كأول زعيم للشعب الكردي خلال القرن العشرين.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار بطولات البارزانيين وقتالياتهم وتضحياتهم بأنفسهم في أي معركة اعترضت طريقهم أو ساروا اليها باختيارهم، كان اسم الملا مصطفى في السنوات القليلة التي سبقت قيام جمهورية مهاباد في اثنائها شائعاً بين عموم الشعب الكردي وفي أوساط الصحافة العالمية كرمز للشجاعة وقهر الأعداء.

وبالنسبة لأعوام ١٩٦١-١٩٧٥ يصنف اسمه الى جانب أسماء الأبطال الوطنيين لشعوب العالم، فلئن كان ماوتسي تونغ رمزاً لنضال الشعب الصيني، و(هوشي منه) رمزاً لنضال الشعب الفيتنامي ونهرو رمزاً لنضال الشعب الهندي وتيتو رمزاً لنضال الشعب اليوغسلافي ومصدق رمزاً لنضال الشعب الإيراني وعبد الناصر رمزاً لنضال الشعب العربي وكاسترو رمزاً للنضال التحرري لشعب كوبا ومانديلا رمزاً لنضال شعب جنوب إفريقيا، فان الملا مصطفى البارزاني هو الآخر رمز لنضال الشعب الكردي.

السؤال الثاني:

هل كان البارزاني رجلاً سياسياً؟

– واضح ان غرضك من كون البارزاني رجلاً سياسياً انه كان يعرف كيف يتصرف ويتعامل مع الأحداث عند كل سانحة وفي كل حادثة وبخاصة في أي أزمة يتعرض لها، ان كنت قد فهمت السؤال وكان غرضكم منه ما ذكرت، عليّ ان أقول كان البارزاني رجلاً سياسياً والدليل على هذا متوفر في مختلف مراحل حياته الا انه من الواضح ان هذا لا يعني أنه كان يصيب الهدف في كل مرة وانه كان على صواب في كل ما كان يذهب اليه، انا لا اصدق ان بين جميع الرجال السياسيين في العالم يمكن العثور على شخص تسنى له هذا الأمر أي عدم مجانبة الصواب في أي قرار يتخذه، وتبقى القضية مرتبطة بقلة مجانبة الصواب وكثرتها فعندما نرى الملا مصطفى أبان انتفاضة بارزان عام ١٩٤٣ يريد بسبب من تأثير الضباط المنتمين الى حزب (هيوا) ممن كانوا قد التفوا حوله وانضموا الى حركته يريد ان يثير الحزب في مختلف أنحاء كردستان العراق وبمقدار ما كان له من تأثير، متاعب للحكومة العراقية ويبدأ بإطلاق النار على القواعد والحاميات والمعسكرات الحكومية ليخفف بذلك من ضغط الجيش العراقي عليه وعلى مقاتليه، وبديهي ان عمله هذا يعد معرفة على درجة عالية بالسياسة.

وعندما يضيق عليه الخناق في عام ١٩٤٥ ويضطر للانتقال بقواته وعوائلها وبعشيرته الى المنطقة المحررة من كردستان الإيرانية حيث قامت في ما بعد جمهورية مهاباد، فمن الواضح ان تلك حجة دامغة أخرى على اطلاعه على السياسة وحسن تقديره للأمور.

وخلال المحادثات التي أعقبت سقوط جمهورية مهاباد بينه وبين السلطات العسكرية الإيرانية أبى البارزاني ان يتوجه الى طهران لإكمال تلك المحادثات هناك الى ان وافقت السلطات الإيرانية على إرسال لفيف من كبار الضباط ليكونوا رهائن لدى البارزانيين لحين رجوعه هو من طهران، فاحتفظ بهؤلاء لدى مقاتليه تحوطاً من ان تحاول السلطات الإيرانية اعتقاله وتصفيته، وهذا أيضاً نموذج آخر من دهاء البارزاني وحنكته السياسية.

وعندما أدرك البارزاني بكل عمق أبعاد المعاناة التي كان يحيا فيها شعبه الذي كانت أعباء عام ١٩٦٣ الشديدة القسوة ما تزال تثقل عليه وانها بلغت مستوى شديد الصعوبة في ظروف المعيشة في ظل الحصار والبطالة، لم يدع التردد في ان يجد لنفسه سبيلاً وعقد اتفاقية شباط ١٩٦٤ مع السلطات، تلك الاتفاقية التي أتاحت الفرصة لانفراج اقتصادي ولإطلاق سراح ألوف المعتقلين ووفرت المجال لشعب كردستان ليتنفس الصعداء، وهذا أيضاً نموذج آخر رفيع المستوى لكفاءة الملا مصطفى السياسية ونضجه العملي ونبوغه الفائق وقدرته على مواجهة الصعاب في أوقات المحن.

وعندما دخل في أواخر عام ١٩٦٩ وبداية عام ١٩٧٠ في حوار مجدد مع السلطة العراقية وتوصل أخيراً الى توقيع اتفاقية آذار معها فادخل بها كردستان والشعب الكردي والقضية الكردية في ظروف جديدة تماماً، لم يكن النظام الإيراني الذي كان يعد نفسه المساند والحامي الأول للحركة الكردية، ولكن لحسابه الخاص هو وليس من أجل الشعب الكردي على وفاق معه بهذا الشأن، وكان يبذل منذ الأيام الأولى للتمهيد لعقد هذه الاتفاقية كل ما بوسعه من مساع وجهود للحيلولة من دون التوصل الى عقدها، الا ان البارزاني لم يأبه لذلك ومضى في طريقه وعقد الاتفاقية، وبذلك برهن مرة أخرى للجميع على انه سياسي محنك وكان من اسطع الأدلة على هذه الحقيقة ان النظام الإيراني لم يتمكن بعد عقد الاتفاقية من ان ينفض يده عن الحركة الكردية

عندما دخل في أواخر عام ١٩٦٩ وبداية عام ١٩٧٠ في حوار مجدد مع السلطة العراقية وتوصل أخيراً الى توقيع اتفاقية آذار معها فادخل بها كردستان والشعب الكردي والقضية الكردية في ظروف جديدة تماماً، لم يكن النظام الإيراني الذي كان يعد نفسه المساند والحامي الأول للحركة الكردية، ولكن لحسابه الخاص هو وليس من أجل الشعب الكردي على وفاق معه بهذا الشأن

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

وقائدها البارزاني ووجد نفسه مضطراً الى مواصلة التعاون معه لان مصالحه كانت تقتضي ذلك.

البارزاني نفسه كسليل أسرة صوفية ومرشدة للطريقة بمعنى الكلمة أباً عن جد وكشخص زاهد في الدنيا وغير متعلق بأي من متعلقاتها لم يكن يريد لنفسه شيئاً وللسبب نفسه لم يدع احد أولاده ان يتقرب من السلطة الحكومية بأي وجه من الوجوه، ولكن هذا الزهد الصوفي لم يكن وحده كافياً لإدارة أمور البلد وللحيلولة دون ان يتلطخ رجاله ومسؤولوه بطمع الدنيا وأقذارها ولم يكن للبارزاني ولا لأجهزة الثورة ولا للحزب أيضاً كحزب منهاج بهذا الخصوص، لذلك فقد ارتخى العنان لكثير من مسؤولي الثورة الذين كانوا قد تحولوا آنئذ الى مسؤولين في الإدارة والحكم ليغدوا يوماً بعد آخر أكثر التصاقاً بالمطامع الدنيوية واهتماماً بمصالحهم الذاتية وينعزلوا عن النضال الحقيقي والعض بالنواجذ على أماني الجماهير.

وعندما أعلن البارزاني بعد اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران وقف الثورة لم يخضع أمراء (البيشمركة) للقرار انطلاقاً من انضباطهم العسكري، لقد كان البارزاني يعرف جيداً مدى التسيب والإهمال الذي وقع فيه العديد من أولئك الأمراء وهو بنفسه لم تكن بقت عنده الطاقة السابقة لقيادة (البيشمركة) حتى يواصل القتال، كما كان هؤلاء يتمنون على الله ان ترفع أعباء الحرب عن كواهلهم، فكان قسم منهم يودون لو يعودون الى أحضان بغداد وقسم آخر يتمنون ان يلقوا بأنفسهم بين يدي الشاه الإيراني والقسم الثالث كانوا يتجرعون ألم ومرارات اليأس وخيبة الأمل.

السؤال الثالث:

هل كان البارزاني ديمقراطياً، وإذا كا ديمقراطيا فكيف كانت ديمقراطيته؟

– قبل ان آتي للإجابة على سؤالك أرى من الضروري ان أعيد ما يقوله المثل الكردي (هذه العجينة تحتاج الى ماء كثير) اذ ان عليّ وقبل كل شيء ان اكتب سطوراً عن المفهوم السياسي للديمقراطية، فأقول: مصطلح الديمقراطية مركبة من كلمتين يونانيتين ملخص مفهومهما معاً هو (حكم الشعب) وهذه الكلمة المصطلح فسرت في الموسوعات السياسية بـ(حكم الشعب نفسه بنفسه ولصالح الشعب نفسه وبواسطة الشعب نفسه)، وحكم الشعب هذا يعبر عنه بحكومة يختارها مجموع أو أكثرية أعضاء برلمان منتخب بكل حرية ومن دون وضع أي عقبات أو عراقيل في طريق أي مجموعة ممن لهم حق الانتخاب أو أي فرد منهم بحيث تحجب عنها أو عنه حق حرية الانتخاب بأي صورة من صور الحجب.

أنا اعتقد ان القيد الثاني في تفسير الديمقراطية واعني (لصالح الشعب نفسه) لم يتحقق حتى الآن في أي مجتمع متعدد الطبقات– الطبقة الاجتماعية المالكة لوسائل الإنتاج أو الطبقة السياسية المسيطرة على زمام الأمور وان لم تكن مالكة لوسائل الإنتاج– وان الحكم الحقيقي وجوهره كان دائماً وفي أي مجتمع مهما بلغ من الديمقراطية في يد الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج او الطبقة القابضة على زمام الأمور، وهذا القبض على زمام الأمور من قبل طبقة غير مالكة لوسائل الإنتاج سيؤدي حتما وكيفما كان الأمر الى شكل من أشكال ملكية وسائل الإنتاج ويؤول الى ان تغدو حصة الطبقة أو الطبقات الأخرى من الناتج الاجتماعي والإفادة من خبرات المجتمع المتنوعة اقل بكثير ومن دون حصة الطبقة المسيطرة على زمام الأمور.

× هذا عن الديمقراطية في الحكم، فماذا عن الديمقراطية بالنسبة لهذا وذاك، وهو الغرض من السؤال عن شخص الملا مصطفى البارزاني؟

– بديهي انه يجب تفسير الديمقراطية بالنسبة لهذا وذاك من بني البشر بانه إيمان المرء بالديمقراطية في أسلوب الحكم وسيرد هو عليها اذا كان حاكماً، بان يتعامل بموجبها مع أفراد المجتمع سواء المؤيدون له منهم والمعارضون على السواء، والاعتراف لهم بحقهم في حرية الرأي والنشر والتعبير وتأليف الأحزاب والجماعات والنقابات وحرية العقيدة الدينية والسياسية والاجتماعية وحرية التنقل السكني وأي حرية أخرى اجتماعية وشخصية لأي جماعة أو فرد بشرط واحد فقط هو ألا تعرقل تلك الحرية أياً من حريات جماعة أخرى او شخص آخر.

أنا لم أتشرف أبداً بلقاء المرحوم الملا مصطفى البارزاني وان كنت لو تشرفت بلقائه لما كفاني لقاء مرة أو مرتين لأعرف ما اذا كان ديمقراطيا او لا، ولم اقرأ موضوعاً يحمل اسمه وأكون مطمئناً الى انه من نتاج أفكاره وآرائه ولكنني كوطني كردي وكشخص عمل خمس سنوات في جريدة التآخي بقسميها العربي والكردي وتتبع معرفة مواقف البارزاني من الأحداث والمشاكل وعرف نبذاً من تاريخ حياته واستمع الى آراء كثير من المطلعين حوله، ونتيجة لكل ما أسلفت استطيع أن أقول بشأنه: ان المجتمع البشري وان كان على وجه العموم متقارباً بينه في مسار التطور التاريخي، الا ان لكل جزء منه خصائصه وقد قطع مراحل تطوره بصورة خاصة به وتركت فيها العادات والتقاليد الاجتماعية وطريقة العيش ووسائل الإنتاج الاجتماعي بصماتها على تطورها وشعبنا الكردي هو الآخر ليس استثناء من هذه القاعدة العامة وله خصائصه المتميزة، فالملا مصطفى البارزاني سواء نظرنا اليه كقائد سياسي وعسكري بارز لشعبنا الكردي او كسليل عائلة صوفية متدينة مناضلة أباً عن جد، كان ربيب مجتمع عشائري ومنطقة فقيرة لا تكاد تقوم بأود بنيها ووضع سياسي صعب عاشه شعبه، وقد دفعت هذه الظروف كلها أسرته من أكثر من جيل لسلوك طريق النضال وجعلت منه هو في آخر الأمر قائد ثورات وزعيم حزب فعال ذا تأثير كبير في حياة شعبه في الثلث الأوسط من القرن الماضي ومرت عليه تجارب عديدة في حياته.. الملا مصطفى هذا كان يملك هو الآخر خصائص متميزة ذات صلة بالخصائص المتميزة لأسرته بصورة خاصة ولشعبه بصورة عامة في كل الميادين ومنها ساحة الديمقراطية أيضاً.. أي ان له ديمقراطية متميزة نابعة من هذه الظروف من حيث الأساس.

كان الملا مصطفى البارزاني نتاج هذه البيئة وهذا الطراز من الحياة والتربية في هذا المجتمع الذي اتينا على وصفه وقلنا انه انما يصح الحكم بشأنه في هذا الإطار.

لذلك فلا شك في انه اذا أردنا ان ننظر الى الملا مصطفى وفق معايير الديمقراطية البرجوازية الأوروبية او وفق معايير الديمقراطية الاشتراكية السوفياتية السابقة التي عاش أكثر من عشر سنوات في ظلها وفي أعماقها أيام تشرد عن وطنه في سبيل الكرد وكردستان، ولم يكن بإمكاننا ان نعتبره ديمقراطياً وفق أي من المعيارين، الا اننا لا نستطيع كذلك، كما يتوقع ان ننظر اليه كحامل أفكار الرأسمالية رجعياً ومتخلفاً بمرحلة من حيث العلاقات الاجتماعية.

ومع هذا فان الرجعية على وجه العموم تحدد بنوعية موقف المرء إزاء الأشياء الجديدة التي جاءت بدلاً من الأشياء القديمة.. هل يريد الإفادة من نتاجات الفكر والتكنيك الجديدة ويتخلى عن القديمة أم لا؟ ما وجهة نظره إزاء الأفكار التي ظهرت من أجل العدالة الاجتماعية وتحسين حياة الطبقات المستغلة؟ كيف ينظر الى الاضطهاد القومي والديني والطبقي والأنواع الأخرى من الاضطهاد؟ ما موقفه من قضية المرأة وتحريرها من كل تلك القيود والأغلال الاجتماعية التي تشلها عن النشاط والحركة وتدوس على حقوقها؟ هذه وأسئلة عديدة أخرى من هذا النوع تحدد لنا تقدمية أو رجعية أي شخص أو أي جهة.

ان الديمقراطية مرتبطة في ذهن الجماهير الكردية بالعدل وعدم النظر الى الذات بوضعها في مرتبة أعلى من مرتبة الناس الآخرين في المجتمع واحتساب الشخص نفسه أخاً للجميع، والملا مصطفى وفق هذه النظرة المتوازنة المترسخة في أذهان الجماهير شخص ديمقراطي من الطراز الخاص بالمجتمع الكردي والكردستاني.

عن المؤتمر الذكرى المئوية للبارزاني الخالد

عندما أدرك البارزاني بكل عمق أبعاد المعاناة التي كان يحيا فيها شعبه الذي كانت أعباء عام ١٩٦٣ الشديدة القسوة ما تزال تثقل عليه وانها بلغت مستوى شديد الصعوبة في ظروف المعيشة في ظل الحصار والبطالة، لم يدع التردد في ان يجد لنفسه سبيلاً وعقد اتفاقية شباط ١٩٦٤ مع السلطات، تلك الاتفاقية التي أتاحت الفرصة لانفراج اقتصادي ولإطلاق سراح ألوف المعتقلين ووفرت المجال لشعب كردستان ليتنفس الصعداء،

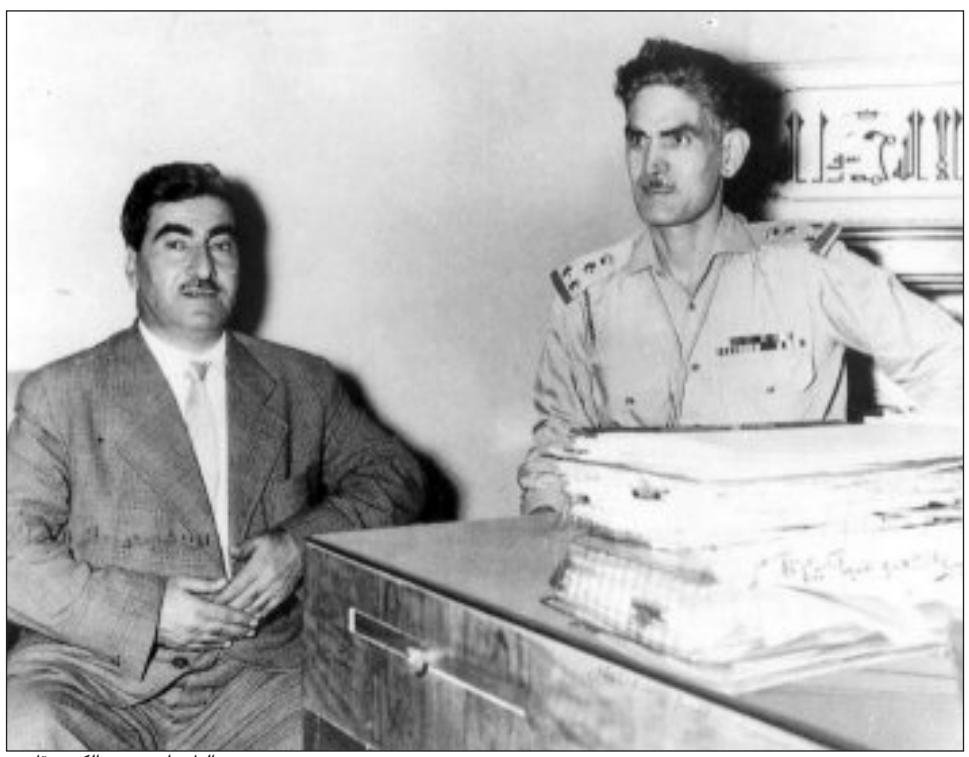

البارزاني وعبد الكريم قاسم

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

مصطفى البارزاني :

رمز خالد من رموز النضال الانساني

د. أحمد أبو مطر

وقد بلور المرحوم الخالد مصطفى البارزاني مبكرا مطالب النضال الكردي في أثناء قيادته وتفعيله لما عرف في التاريخ الكردي الحركة البارزانية الثانية بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، عندما تباحث مع ماجد مصطفى ، وزير الدولة العراقية في زمن حكومة نوري السعيد التي تشكلت يوم الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤٣

لا يختلف عربيان أو كرديان على أن القائد الراحل مصطفى البارزاني (١٩٠٣-١٩٧٩) أمضى غالبية سني عمره الستة والسبعين مناضلا في صفوف الحركة الكردية ، وقد أعطى الحركة الكردية المناضلة ضد قمع ومصادرة حقوق الشعب الكردي ، من الزخم والعطاء ما جعل إسمه كواحد من القيادات البارزانية ، يرتبط بقلب النضال الكردي ، فأصبح رمزا من رموز هذا النضال ، وهو سليل العائلة البارزانية التي قاد زعماء منها الحركات الوطنية الكردية بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٧ ، ومنهم الشيخ عبد الرحيم البارزاني والشيخ عبد السلام البارزاني والشيخ أحمد البارزاني الذين قادوا النضال الكردي ضد الإحتلال والقمع التركي ، وقد أخذت هذه العائلة إسمها من سكنها وإنتمائها لمنطقة (بارزان) الواقعة في أقصى شمال شرق إقليم كردستان على سفح جبال شيرين الجنوبية في جنوب سلسلة جبال شيروان التي هي الحدود الفاصلة بين تركيا وإقليم كردستان العراق . وربما مما له دلالة أن المقاتلين الكرد ، ومنهم البارزانيون عرفوا بصلابتهم في القتال ، إيمانا بحق الشعب الكردي في الحرية والإستقلال ، وإمتثالا للتربية على المثل الكردي الذي يقول (الرجال خلقوا ليقتلوا) ، لذلك كان مجرد ذكر إسم الفدائيين الأكراد (البيشمركه)، يثير الفزع والخوف في قلوب جيوش الأنظمة المصادرة لحقوق الشعب الكردي . وقد بلور المرحوم الخالد مصطفى البارزاني مبكرا مطالب النضال الكردي في أثناء قيادته وتفعيله لما عرف في التاريخ الكردي الحركة البارزانية الثانية بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٥ ، عندما تباحث مع ماجد مصطفى ، وزير الدولة العراقية في زمن حكومة نوري السعيد التي تشكلت يوم الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤٣ ، وقد تقدم المرحوم مصطفى البارزاني آنذاك بالمطالب الوطنية الكردية التالية :

أولا : تشكيل ولاية كردية تضم كركوك والسليمانية و أربيل و أقضية الموصل ودهوك وزاخو وعقرة و سنجار والشيخان وخانقين .

ثانيا : تتمتع الولاية الكردية بإستقلال ذاتي في المسائل الثقافية والإقتصادية والزراعية .

ثالثا : إعتبار اللغة الكردية لغة رسمية في الولاية الكردية .

رابعا : تعيين وكيل وزارة كردي في كل وزارة في بغداد ، ووزير كردي يكون مسؤولا عن ولاية كردستان .

وهكذا ، كما نلاحظ فإن جوهر المطالب القومية الكردية المطروحة الآن ، ليست جديدة ، فقد تبلورت منذ ما يزيد على ستين عاما .

وقاد المناضل مصطفى البارزاني النضال الكردي في إيران والعراق ، وفي السنوات من ١٩٦١ وحتى وفاته في عام ١٩٧٩ ، كان بلا منازع القائد الميداني للنضال الكردي ضد الحكومات القمعية في العراق ، خاصة حكومة البعث الإستبدادية التي إرتكبت بحق الشعب الكردي من الجرائم ، ما جعلها تدخل سجل الإبادة الجماعية ، ويكفي أن نذكر جريمة مجزرة حلبجة وجرائم ما عرف بحملات الأنفال .

إننا في التجمع العربي لنصرة القضية الكردية ، عندما نشارك اليوم في إحياء ذكرى المناضل القائد مصطفى البارزاني، إنما نشارك عن قناعة أصيلة عندنا ، وهي الإنتصار للشعب الكردي الذي صودرت حريته و قوميته ، ولأننا نؤمن بأن النضال الكردي والعربي كان مشتركا ومتلاحما عبر العصور من أجل الحرية والعزة والكرامة ، ففي التاريخ العربي الكردي المشترك لا يمكن أن ننسى القادة المناضلين الأكراد : عماد الدين زنكي ، وصلاح الدين الأيوبي والأسرة الأيوبية في مصر وبلاد الشام ، التي أصبحت رمزا نضاليا مشرفا في التاريخ العربي. كما أننا بإعلاننا عن هذا التجمع والمئات من العرب الشرفاء الذين أيدوه وأنتسبوا إليه ، إنما نعلن عن ضرورة الإستماع إلى المطالب القومية الكردية التي تتمحور الآن في إقليم كردستان حول مطلب أساسي وهو (الفيدرالية) ، ونحن في التجمع ندعم هذا التوجه لأنه خيار الشعب الكردي ، ولأنه لايقبل العربي أن يصادر أحد حقوقه القومية وبالتالي لا يمكن أن نكون بجانب من يسعى لمصادرة حقوق الشعب الكردي القومية ....وفي هذه الذكرى ، نعاهد أشقاءنا أبناء الشعب الكردي على أن نظل مدافعين أقوياء عن حقوقهم القومية ، لأن الإقرار بهذه الحقوق والإعتراف بها دستوريا وقانونيا من شأنه أن يعزز العلاقات الكردية العربية على أساس المساواة والتكافؤ....ونود أن نقول لأي عنصري يتحامل على الشعب الكردي الشقيق ، أليس من العار هذا التهافت العربي على الإعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات حسن جوار معها ، وهي التي قامت على أرض الشعب الفلسطيني ، وفي الوقت ذاته يوجد بيننا من يتنكر لحق الشعب الكردي في العيش الحر الكريم في وطنه القومي الذي قسّمته ومزقته السياسات والقوى الإستعمارية .

وهنا نشير لتلاحم وتأييد الشعب والحكومة الكردية لنضال الشعب الفلسطيني ، كما عبرت عنه زيارة الأستاذ صلاح بدر الدين رئيس جمعية الصداقة العربية – الكردية قبل أسابيع قليلة إلى رام الله ، مسلما رسالة إلى الرئيس الفلسطيني محمود عباس من الرئيس مسعود البارزاني ، وهي خطوة لاقت ترحيبا في أوساط الشعب الفلسطيني في حصاره الحالي .

الحرية والكرامة للشعب الكردي الشقيق

التأييد الكامل لأية مطالب كردية قومية وطنية .

التلاحم بين النضالين الكردي والعربي من أجل حرية وكرامة الشعبين .

× نص الكلمة التي ألقاها الدكتور أحمد أبو مطر ، بإسم التجمع العربي لنصرة القضية الكردية ، في الإحتفال الذي أقامته اللجنة المحلية للحزب الديمقراطي الكردستاني في أوسلو ، يوم السادس من آذار – مارس ٢٠٠٥ ، بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لوفاة المناضل القائد مصطفى البارزاني .

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1748)
السنة السابعة
الخميس (18)
شباط 2010

مصطفى البارزاني . . سيرة نضال

هو ابن الشيخ محمد بن عبد السلام بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الرحمن بن الملا تاج الدين.

ولد الملا مصطفى بن الشيخ محمد البارزاني بقرية بارزان في ١٤ / آذار / ١٩٠٣م.

بعيد وفاة والده. وفي الثالثة من عمره ساق العثمانيون حملة تأديبية على العشائر الكردية عقب فشل ثورة بارزان ضد العثمانيين، فأسروا الشيخ عبد السلام (الشقيق الأكبر له) وسجنوا الطفل(مصطفى) مع أمه في سجن الموصل حيث قضيا فيه تسعة أشهر. وكان لوالده أربعة أولاد آخرين وهم: الشيخ عبد السلام، الشيخ أحمد، محمد صديق، بابو.

لقد لفت انتباه الناس لشخصه منذ الطفولة، لما تحلى به من خصال حميدة في السلوك والشجاعة. وحاز عطف وحب شديدين من الأسرة البارزانية. وكان منذ نعومة أظفاره ميالاً للعلم والمعرفة، ويبذل جهده وطاقته البدنية ويصقلها في ممارسة الصيد. قضى الملا مصطفى ست سنوات في تحصيله العلمي الابتدائي على يد معلمين خصوصيين في قرية بارزان، وبعدها درس الشريعة والفقه الاسلامي في بارزان لمدة أربع سنوات. ثم استمر في أثناء نفيه من بارزان في إكمال دراسته الفقهية في السليمانية.

نضاله وكفاحه

× دخل في معترك النضال الكردي التحرري عام ١٩١٩م وساهم في ثورة الشيخ محمود الحفيد وقاد قوة مؤلفة من ٣٠٠ مسلح.

× عام ١٩٢٠ انتدبه شقيقه الأكبر الشيخ أحمد لزيارة الشيخ سعيد بيران في كردستان الشمالية، للتنسيق معه في ثورته.

× عام ١٩٣١- ١٩٣٢م قاد القوة الرئيسية للبارزانيين للدفاع عن محور: ميركةسور- شيروان، مقابل قوة داي الانكليزي. ولمع نجمه في هذه المعركة كثيراً في الهجوم والدفاع وقيادة العمليات العسكرية.

× عام ١٩٣٤م لجأ مع أخيه الشيخ أحمد وبعض رجاله إلى تركيا وبنتيجة المفاوضات عاد إلى العراق مع الانكليز وتم نفيهم إلى جنوب العراق ثم إلى بلدة السليمانية. ودام نفيه مدة ١٠سنوات.

× وفي ١٢ / ٧ / ١٩٤٣م وبمساهمة تنظيم «هيوا» هرب من السليمانية ودخل الأراضي الايرانية.

× وفي نفس العام ١٩٤٣م توجه من ايران إلى منطقة بارزان. وبدأ الشباب يلتحقون به في صفوف مستمرة حتى بلغ عدد المسلحين، وخلال شهرين، أكثر من ٢٠٠٠مسلح. واستولى على معظم مخافر المنطقة.

× وفي خريف ١٩٤٣م أرسلت الحكومة الوفود تلو الوفود إلى البارزاني طالبة التفاوض لوقف القتال. فاشترط البارزاني الدخول في المفاوضات بعودة الشيخ أحمد وجميع المنفيين. وانتهت المفاوضات إلى اتفاق تعهدت حكومة نوري السعيد بموجبه بتنفيذ جميع المطالب التي قدمها البارزاني.

× دخل في معترك النضال الكردي التحرري عام ١٩١٩م وساهم في ثورة الشيخ محمود الحفيد وقاد قوة مؤلفة من ٣٠٠ مسلح.
× عام ١٩٢٠ انتدبه شقيقه الأكبر الشيخ أحمد لزيارة الشيخ سعيد بيران في كردستان الشمالية، للتنسيق معه في ثورته.
× عام ١٩٣١- ١٩٣٢م قاد القوة الرئيسية للبارزانيين للدفاع عن محور: ميركةسور- شيروان، مقابل قوة داي الانكليزي. ولمع نجمه في هذه المعركة كثيراً في الهجوم والدفاع وقيادة العمليات العسكرية.

× اعلان ثورة البارزاني ١٩٤٣- ١٩٤٥م قادها ضد الحكومة العراقية المدعومة من البريطانيين. وكان مخططاً للثورة هذه المرة أن تشمل مناطق واسعة من كردستان.

× ١١/ ٥/ ١٩٤٥م الانسحاب إلى كردستان الشرقية مع عدد كبير من مقاتليه، وكان الاقتتال الداخلي بين الأكراد أنفسهم السبب الرئيسي لوقف الثورة.

× ٢٢/ ١/ ١٩٤٦م حضر الحفل المقام بمناسبة اعلان جمهورية كردستان في مهاباد وكان على يمين قاضي محمد، وعين قائداً لجيش جمهورية كردستان حيث منح رتبة «جنرال». وأنيط بالبارزانيين مهمة دعم وترسيخ الجمهورية.

× ١٦/ ٨/ ١٩٤٦م تأسيس الحزب الديموقراطي الكردستاني /العراق، وانتخب البارزاني رئيساً له، وأعيد انتخابه للرئاسة في جميع مؤتمرات الحزب وظل رئيساً حتى وفاته.

× المسيرة التاريخية ١٩٤٧م،بعدانهيار الجمهورية ورفض البارزاني الاستسلام للايرانيين وقرر الانسحاب من كردستان إلى الاتحاد السوفييتي سيراً على الأقدام مع ٥٠٠ من البارزانيين، بعد الاصطدام بقوات الدول المسيطرة على كردستان (العراق، ايران، تركيا) والدول الحليفة لها (أمريكا، بريطانيا). وفي يوم ١٧ /٦ / ١٩٤٧م عبروا نهر آراس إلى الاتحاد السوفييتي السابق.

× وفي الاتحاد السوفييتي- وفي الفترة الستالينية- عوملوا معاملة قاسية ولاقوا معاناة شديدة، وبعد موت ستالين (١٩٥٣م) تحسنت أوضاعهم كثيرا. وأقبل البارزاني على العلم، وفي سن تزيد على الـ ٤٥ وطلب الانتماء إلى أكاديمية اللغات في موسكو حيث درس الاقتصاد والجغرافية والعلوم، إضافة إلى اللغة الروسية.

× عاد إلى العراق بعد ثورة ١٤ / تموز / ١٩٥٨م واستقبل استقبال القادة الأبطال.

× ١١/ أيلول / ١٩٦١- ١٩٧٥م قاد ثورة أيلول المجيدة ضد الحكومات العراقية.

× توصل مع الحكومة العراقية إلى بيان ١١/ آذار / ١٩٧٠م لاتفاقية الحكم الذاتي.

× في ٦/ آذار / ١٩٧٥م انتكست ثورة أيلول باتفاقية الجزائر، ولجأ البارزاني إلى ايران مع الآلاف من الكرد.

× توفي في أمريكا في ١/ آذار / ١٩٧٩م ودفن جثمانه الطاهر في قصبة «شنو». وبعد الانتفاضة نقل رفاته إلى كردستان.

صقر كردستان

محمد مهدي الجواهري

جاذبت من ((صقر الشمال))
وأنه بالعز امنع من مطار عقاب
ومسحت غضبة قسور عن وجهه
ولقطت عن فمه مرارة صاب
وأريته أن النفوس معاجز جلى
اذا خلصت من الأوشاب
عملاق جن في الحروب ودعلج
في السلم يحمي الجلد بالنشاب
وسط الجبال كأن صم صخوره
من بعض ما أستصفى من الحجاب
مستشرفاً كبد السماء جبينه
للنيرات ورجله في (الزاب)
لعنت عهود آثمات خلفها
من لعنة الأجيال شر عقاب
قد كاد ينفلت الزمام ويدحي
ركب العراق لهلكة وتباب
طيف تحدر من وراء حجاب
غضر الترائب مثقل الأهداب
متفجر الينبوع يزخر بالسنا
ويرش وجه الفجر بالأطياب

عراقيون من زمن التوهج

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون